الأبعاد المناخية والبيئية وتطوّر النوايا والمشاريع الهجرية

دراسة حالة الصيد الساحلي والحرفي بمنطقتي جرجيس وبوغرارة

ROSA LUXEMBURG STIFTUNG
مكتب شـمال إفريقيا
North Africa Office

فيفري 2024

الكاتب:
خالد طبابي

الترجمة من العربية إلى الإنجليزية: **ألفة دربال**

تحرير ومراجعة:
د. ايمان اللواتي

تصميم:
ozads.org

خالد
طبابـــي

تحصل في السنة الجامعية 2018 -2019 على الشهادة الوطنية لماجستير البحث في علم اجتماع التنمية والعمل والبيئية بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس –جامعة تونس-. وناقش مذكرة الماجستير حول ظاهرة الهجرة غير النظامية بعد سنة 2011.

تحصل في سنة 2023 على الشهادة الوطنية للدكتوراه في علم الاجتماع بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس -جامعة تونس-. وناقش في أطروحته ظاهرة الحركات الاحتجاجية وتحولات العمل النقابي بالقرى المنجمية خلال العشرية الأولى من الثورة التونسية: 2011 -2020 (دراسة في التغيّر الاجتماعي).

صدرت له أعمال علمية مُحكمة (مقالات ودراسات) وأخرى ضمن أعمال وأنشطة المنظمات غير الحكومية، وتمحورت أغلب أعماله حول ظاهرة الهجرة غير النظامية والسياسات الهجرية والحركات الاحتجاجية والنقابية والتحولات السياسية التي عاشتها البلاد التونسية بعد سنة 2011 وكذلك حول ظاهرة صعود آليات التشغيل الهش.

فهرس المحتويات

شكر 6

مقدمة 8

I. الإشكالية وفرضيات الدراسة 10

II. لماذا دراسة المجتمع الصيدي؟ 11

III. البنية التحتية للميناء، اليد العاملة وأسطول صيد السمك بجرجيس 13

IV.النساء العاملات في القطاع الصيدي بمنطقة بوغرارة 14

V.تقنيات البحث 14

1.معالجة البيانات الكمية 14

2.معالجة البيانات الكيفية 15

VI.تقديم ملامح وخصائص العينة المستجوبة 16

1.توزيع العيّنة حسب الجندر 16

2.العينة المستجوبة حسب الفئة العمرية 17

3.توزيع العينة حسب الحالة المدنية 18

4.العينة المستجوبة وفقا للمستوى التعليمي 18

5.التغطية الاجتماعية حسب العينة المستجوبة 18

6.وراثة المهنة والوظيفة في القطاع الصيدي 19

7.أصحاب المراكب وطريقة الحصول عليها حسب العينة المستجوبة 20

8.الديون وتَعَدُد موارد الرزق حسب المستجوبين 21

9.الانخراط الجمعياتي والسياسي لبحارة الصيد الساحلي بجرجيس 22

الفصل الأول:

أثر التغيرات المناخية على الظروف السوسيو- اقتصادية لبحارة الصيد الساحلي والحرفي 23

مقدمة 23

I.ملاحظة المجتمع الصيدي للتغير المناخي 24

II. تأثير التغيرات المناخية على تقلص الثروة والمحاصيل البحرية والظروف السوسيو اقتصادية 25

1.تأثير ارتفاع درجات الحرارة على الثروة البحرية والظروف الاقتصادية 25

2.الإسفنج: ثروة تاريخية تتضاءل جراء التغيرات المناخية 28

3.خطر ارتفاع مستوى سطح البحر 30

4.تأثير تحمض المحيطات 31

5. تصاعد العواصف البحرية وتردي الظروف الاقتصادية لمجتمع الصيد الساحلي 33

6. تغيير مناطق الصيد وتدهور الحالة الاقتصادية والاجتماعية 34

III.الأنواع الغازية: السلطعون الأزرق وتداعياته على المجتمع الصيدي في جرجيس 37

VI.ورشات صنع الدرينة ومعاناة النساء 40

خاتمة 42

الفصل الثاني:

الأبعاد البيئية وتدهور الظروف الاقتصادية والاجتماعية في مجتمع الصيد الساحلي والحرفي 44
مقدمة 44
I.حينما يتحول البحر إلى مكب للنفايات الوطنية 45
1.الكوتيزال: سردية استعمارية وتدمير للثروة البحرية 45
2.المجمع الكيميائي: حرب الرأسمال على الفقراء 47
II.إرهاب الصيد وتدمير الثروة البحرية 49
III.النساء ضحايا اللاعدالة الاجتماعية والبيئية: قصّة نساء مكافحات ومقهورات 52
خاتمة 55

الفصل الثالث:

الدولة العاجزة وهشاشة المجتمع الصيدي الساحلي والحرفي 57
مقدمة 57
I.غياب الدعائم المادية واللوجستية بعد الثورة التونسية 58
II.صيادون عالقون في «الصحراء البحرية» 59
1.حينما يتحول الصيادون إلى قراصنة 59
III.القانون: هيمنة الأقوياء على الضعفاء 61
1.راحة بيولوجية دون تعويضات مادية وتغطية اجتماعية دون عدالة اجتماعية 61
2.المساعدة الإنسانية والمقاربة القانونية الأمنية 62
VI.عدم المساواة الاجتماعية والحركات الاحتجاجية 64
V.الدولة ومجتمع الصيد الساحلي بجرجيس: الثقة المبتورة 65
IV.المناخ، البيئة وانسحاب الدولة كعوامل لعزوف الشباب 67
خاتمة 69

الفصل الرابع:

القرار الهجري في مجتمع الصيد الساحلي والحرفي بجرجيس وبوغرارة 71
مقدمة 71
I.التغيرات المناخية وتطور النوايا والمشاريع الهجرية 72
II.الصيد العشوائي والقرار الهجري 73
III.من مبدأ الملوث يدفع إلى مبدأ المستهلك يدفع والقرار الهجري 74
VI.الدولة كمحرك للقرار الهجري 76
1.غياب الدعائم واستمرارية الابتزاز والقرار الهجري 76
2.دورات تدريبية وانخراط الشباب في المشاريع الهجرية 77
V.الديون: إما السجون أو بيع القارب لشبكات التهجير 78
IV.ثالوث المناخ، البيئة، الدولة وتطور المشاريع والنوايا الهجرية 79
خاتمة 28

خاتمة الدراسة 84
الملاحق 88
القائمة البيبليوغرافية 90

شكر

نتوجه بالشكر إلى كل من:

كافة نشطاء وأعضاء ومنخرطي جمعية البحار التنموية البيئية بجرجيس.

الكاتب العام للاتحاد المحلي للشغل بجرجيس: الهادي الحميدي

محمد سوفي: ناشط محلي وساهم في إنجاز العمل الميداني

إطارات ومدير مدرسة الصيد البحري بجرجيس.

لكل الصيادين في جرجيس وإطارات المندوبية الجهوية للتنمية الفلاحية بولاية مدنين: قسم الصيد البحري وتربية الأسماك بجرجيس.

لكل الذين أجرينا معهم مقابلات، وقدموا لنا معلومات.

كما نتوجه بالشكر إلى السيدة لطيفة شويخي ناشطة بالمجتمع المدني ببوغرارة وإلى النساء العاملات في القطاع الفلاحي وجمع المحار وورشات صنع الدرينة ببوغرارة والذين أجرينا معهن مقابلات.

مقدمة

«**البحر ليس غابة**». هكذا يصف س. خ.[1] الفضاء البحري بتونس وفي جرجيس. فللبحر الأبيض المتوسط معاييره وتقاليده وثقافته وقوانينه التي تنظمه، فهو ديناميكية مجتمعية واجتماعية واقتصادية وحضارية، وهو سردية وتاريخ أوطان ومجتمعات. وحسب وصف المؤرخ الفرنسي فرناند بورديل فالسفر في البحر المتوسط يعني «العثور على عالم الرومان في لبنان، وآثار ما قبل التاريخ في سردينيا والمدن الاغريقية في صقليّة، والوجود العربي في اسبانيا، والإسلام كما خلّفه الاتراك في يوغسلافيا، ويعني المتوسط الانغماس في أعمق أعماق القرون الغابرة التي أقيمت خلالها البناءات الجلموديّة في مالطا والأهرام الفرعونية في مصر. ثم إنه يعني كذلك العثور على معالم قديمة جدّا ما تزال حيّة قائمة، تجاور معالم حديثة وعصرية جدّا....»[2] ورغم الحضارة التاريخية والمكانة الاقتصادية لهذا البحر، إلا أنّه قد تحوّل إلى غابة تحكمه شريعة الغاب: فكل شخص يتصرف كما يريد والقوي يأكل الضعيف. ففي سياق توسّع النيوليبرالية المعاصرة وتطور المجتمعات الصناعية التي تنتج الملوثات العابرة للحدود وللقوميات، صار البحر مرتعا للصيد العشوائي ومكبّا للنفايات.

كما أضاف سياق التغيرات المناخية، الطبيعية والمرتبطة بالتأثير البشري، تعقيدات لهذه الأوضاع. فمنذ سنة 1992، وقعت 190 دولة على أوّل معاهدة بشأن تغير المناخ والمدرج في جدول أعمال القرن الحادي والعشرين الناتج عن قمة الأرض الثالثة. وقد تم تطوير هذه الاتفاقية استجابة إلى الضغط السياسي الذي كان موجودا بالفعل لصالح تدخلات الدولة للحد من الارتفاع الحتمي في ثاني أكسيد الكربون في الغلاف الجوي للأرض. ومنذ ذلك الحين سيتغير تعريف مصطلح تغير المناخ، منتقلا من المعنى المعتاد، أي «المناخ يتغيّر» إلى معنى جديد: «تغيّر المناخ مؤخرا بسبب البشر».[3] ولئن كانت أسباب تغير المناخ مرتبطة بأفعال البشر فإن نتائج وتأثير تغير المناخ تختلف اختلافا كبيرا ووفقا

1 مقابلة مباشرة أجريت يوم 8 ماي 2023 على الساعة العاشرة صباحًا بمقر جمعية البحار التنموية البيئية بجرجيس مع س، خ فاعل بجمعية البحار التنموية البيئية بجرجيس وصياد اسفنج بالميناء الصيدي بجرجيس.

2 فرناند بروديل، البحر المتوسط، ترجمة: عمر بن سالم، أليف، منشورات البحر المتوسط، تونس، 1990 ص 8.

3 André Desrochers, Conserver le climat ? Penser la conservation de l'environnement, Les Presses de l'Université Laval, 2022, pp 163-194. P 164.

لعلاقات دول الشمال والجنوب، فسكان هذه الأخيرة يبدو أنهم الأكثر تأثرا بتغير المناخ في وقت يساهمون فيه بشكل أقل في تشكل هذه الظاهرة مقارنة بدول الشمال العالمي، وفقا للفئات الاجتماعية والطبقية والنوع الاجتماعي التي ينتمون اليها.

ففي المجتمع الصيدي، خلقت التغيرات المناخية والحالة التمييزية بين دول الشمال والجنوب، إضافة إلى التلوث وتكثّف ظاهرة الصيد العشوائي الذي يُسهم في تدمير قاع البحر والنظم البيئية طبقتان متناحرتان: الطبقة الفقيرة المتكونة من صغار البحّارة والطبقة الثرية المتكونة من كبار الصيادين، أو كما تحلو لـ ش. ب. التسمية والتقسيم ب[4] «**فقراء الصيد**» ويعني بذلك الصيد الساحلي، و«**إرهاب الصيد**» ويقصد بذلك الصيد العشوائي، وغالبا ما يكون رواد هذا النوع الأخير من الصيد هم من كبار مالكي السفن. فقد أصبح البحر في جرجيس وبوغرارة مكبا للنفايات ومرتعًا لأصحاب السفن الكبرى وبعض القراصنة والمليشيات. أما التغير المناخي والبيئي في ظرفية يستولي فيها كبار مالكي السفن على الثروة البحرية فسيُضاعف من مشاكل الفقر الموجودة مثل الإقصاء والتهميش وعدم إدماج المجتمعات المتضررة مثل صغار البحّارة في عمليات صنع السياسات الوطنية والدولية. إضافة إلى ذلك فإن التغيرات المناخية لها آثار على النظم البيئية والحياة البرية والبحرية، مما سيؤثر على الحماية والإدارة والاستخدامات المألوفة للأنواع والموارد البحرية والبرية المهمة ثقافيا واقتصاديا، ولا يتعلق الأمر هنا بمدى قدرة المجتمعات على التكيف وممارسة المرونة في مواجهة التغير المناخي، بل يتعلق الأمر أيضا بإعادة «توطين» البشر والحيوانات والنباتات للتكيف مع التغيير والتعامل مع تداعياته.[5] ولكن في ظروف قد تعجز فيها الدولة في عملية التكيّف أو مقاومة المناخ فإنّ الهجرة نحو فضاءات أخرى تكون أحد الحلول الممكنة لـ «توطين» البشر في مكان يتجسد فيه فيه ملامح الحُلم.

التغيرات المناخية واللاعدالة البيئية ليست قضيّة محليّة بل كونية، ففي كل أنحاء العالم أدخل العديد من السياسيون (أو السياسيون المحتملون) مفردات تغيير المناخ في حملاتهم الانتخابية أو التعبوية، واعتبروها من أكثر القضايا إلحاحا في عصرنا. ويتصدر تغير المناخ باستمرار قصص الصفحات الأولى للمجلات والصحف السائدة وفي شبكات التواصل الاجتماعي. ويساهم تغيّر المناخ في التأثير على ظواهر اجتماعية عديدة ومتنوعة، لذلك فإنّ هذه الدراسة هي محاولة لتجنب التفسير والتعاطي السطحي لتغير المناخ وعلاقته بالهجرة.

4 مقابلة مباشرة أجريت يوم 12 ماي 2023 على الساعة العاشرة والنصف صباحًا بالميناء الصيدي بجرجيس، مع ش، ب، صاحب مركب صيد ساحلي وفاعل بجمعية البحار التنموية البيئية بجرجيس.

5 Susan Carte, Mark Nuttal, Anthropology and climate change: From encounters to actions, Left Coast Press, Inc, California, 2009. P 12.

بعـد 17 ديسـمبر 2010- 14 جانفـي 2011، حلّقـت شـمس سياسـية جديـدة في سـماء الديمقراطيـة التمثيليـة التونسـية والتـي تآكلـت وانتهـت في وقـت مبكـر بعـد 10 سـنوات مـن تشـكلها، وصـارت أحـد عنوانـين اللصوصيـة الاجتماعيـة والخدعـة السياسـية. وفي عيـد الجمهوريـة التونسـية مـن سـنة 2021 عمـل الرئيـس التونسـي قيـس سـعيد عـلى حـلّ الهيئـة البرلمانيـة وعبّـد الطريـق نحـو مسـار سـياسي جديـد بدسـتور وبرلمـان وهيـاكل وقوانـين جديـدة.

في كل هـذه التحـولات السوسـيولوجية والسياسـية العميقـة، تعالـت أصـوات مجتمـع الصيـد السـاحلي والتقليـدي بجرجيـس وبوغـرارة مطالبـين بتحسـين ظروفهـم الاقتصاديـة والاجتماعيـة والمهنيـة ووقـف السـفن التـي تعمـل عـلى تدمـير الـثروة البحريـة والنظـم البيئيـة وإيجـاد حلـول لوقـف بعـض ممارسـات القراصنـة والمليشـيات الليبيـة. وتـأتي هـذه المطالـب الشرعيـة في ظـروف تمـر فيهـا أغلـب دول العـالم بتغـيرات مناخيـة ألحقـت الـضرر بالـثروة الفلاحيـة والبحريـة وأصبحـت فيهـا عديـد البِحـار والمحيطـات متأثـرة بفعـل نفايـات الـشركات الباعثـة للملوثـات وتغـيّر المنـاخ.

رغـم التحـولات السياسـية التـي عاشـها المجتمـع التونسـي بعـد سـنة 2011 وبعـد 25 جويليـة 2021، ورغـم الحـركات الاحتجاجيـة إلا أنّ مطالـب المجتمـع الصيـدي لم تتحقـق كليـا أو جزئيـا، وهكـذا اسـتمرت المعانـاة وتوسـعت ديناميكيـة وخارطـة التهميـش لتتصاعـد مشـاعر الخيبـة والإحبـاط، حيـث أن البحـر المتوسـط لم يعـد يلبـي الحاجيـات الاجتماعيـة والاقتصاديـة لبحـارة الصيـد السـاحلي والحـرفي بجرجيـس وبوغـرارة في سـياق أصبحـت فيـه التغـيرات المناخيـة واللاعدالـة البيئيـة أحـد العوامـل التـي تهـدد الـثروة البحريـة والسـمكية والتـي تُشـكل مـورد رزق هـذه الفئـات الهشـة والمسـحوقة.

I. الإشكالية وفرضيات الدراسة

بنـاء عـلى مـا تقـدم وربطـا بعديـد التسـاؤلات الفرعيـة والحالـة البحثيـة فـإن الإشـكالية المركزيـة لهـذه الدراسـة هـي الآتية:

إلى أي مـدى يمكـن اعتبـار التغـيرات المناخيـة واللاعدالـة البيئيـة واسـتنزاف الـثروة السـمكية عـن طريـق الصيـد العشـوائي وغـير القانـوني عوامـلا سـاهمت في تطـور المشـاريع والنوايـا الهجريـة سـواء كان ذلـك لبحـارة الصيـد السـاحلي والحـرفي أو لأبنائهـم وعائلاتهـم في سـياق أصبح فيـه البحـارة محاصريـن في صحـراء بحريـة جـراء التقسـيم غـير العـادل للحـدود وجـراء تحـول البحـر إلى مرتـعٍ لبعـض القراصنـة وفي ظرفيـة كانـت فيهـا اسـتجابة الدولـة التونسـية بطيئـة وشـبه منعدمـة؟

إلى أي مـدى يمكـن اعتبـار الازمـات الاقتصاديـة والاجتماعيـة التـي يعيشـها مجتمـع الصيـد السـاحلي والحـرفي بجرجيـس وبوغـرارة عوامـلا أدت إلى تطـور وتشـكل القـرار الهجـري في سـياق

يتسم فيه هذان المجتمعان بتقاليد هجرية وبقوة الشبكات المجتمعية المحلية؟

ربطا بالإشكالية المركزية وبالخصوصية الثقافية والمجتمعية والاقتصادية لمجتمع الدراسة فإن فرضيات البحث مفادها.

تمثل التغيرات المناخية والأزمة البيئية التي تعيشها شواطئ جرجيس وبوغرارة عواملا أساسية أدت إلى تشكل وتطور النوايا الهجرية الفردية والعائلية في سياق أصبح فيه البحر مرتعًا للصيد العشوائي ولبعض القراصنة، وفي ظروف سياسية عجزت فيها الدولة عن حل الإشكاليات المتعلقة بقطاع الصيد الساحلي والحرفي.

إن الأزمة الاقتصادية والاجتماعية التي تعصف بمجتمع الصيد الساحلي والحرفي بجرجيس وبوغرارة هي العامل الأساسي الذي عبّد الطريق نحو تشكل وتطور النوايا الهجرية في ظرفية يمر فيها البحر المتوسط بتغيرات مناخية وأزمة بيئية وفي سياق يتسم فيه مجتمع الدراسة بقوة ومتانة الشبكات الاجتماعية المحلية وبتقاليد وثقافة هجرية تاريخية.

بعد طرح الإشكالية وتقديم الفرضيات، وحول التحديات التي يواجهها القطاع الصيدي بتونس وتحديدًا قطاع الصيد الساحلي بجرجيس والحرفي ببوغرارة، جاءت هذه الدراسة لتعالج هذه التحديات وتبحث عن العلاقة بين التغيرات المناخية والتدهور البيئي وبين تطور المشاريع والنوايا الهجرية.

II. لماذا دراسة المجتمع الصيدي؟

تُعَد مصائد الأسماك وتربية الأحياء المائية عنصرا مركزيا في إنتاج الغذاء العالمي. ويُمثل الصيد الصناعي 65 % من الصيد في العالم بينما يعمل أكثر من 90 % ضمن الصيد الحرفي. وهكذا فإن قوارب الصيد الصناعي هي التي تحتكر عملية الصيد على المستوى العالمي.[6]

في تونس، يُمثّل صيد الأسماك إحدى ركائز الاقتصاد الوطني. وبساحلها الكبير راهنت تونس منذ استقلالها (1956) على صيد الأسماك، ومنحت البلاد خلال الخطط الخماسية المتتالية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية أسطولا ضخما وبنية تحتية للموانئ. ومع أكثر من 2100 كلم في السواحل، هناك 37000 كيلومتر مربع (كلم ²) من الساحل و124000 كلم ² من مناطق الصيد الخاصّة بتونس، ويشكّل الصيد 7.5 % من قيمة الإنتاج الزراعي و15.2 % من قيمة الصادرات الزراعية.[7]

6 Azzam Mahjoub, Mohamed Mondher Beghith, La sécurité et la souveraineté alimentaires et le droit à l'alimentation en Tunisie, FTDES, 2022. P 103.

7 Céline Deandreis et al, Impacts des effets du changement climatique sur la sécurité alimentaire, Tunisie- Contribution aux éléments de la phase préparatoire du processus du plan national d'adaptation (Axe 2), Agence Française de Développement, 2021. P 79.

في ولاية مدنين، يعتمد الإنتاج السمكي بشكل أساسي على الصيد الساحلي وصيد الأسماك الزرقاء والتي تُمثل حوالي 96 % من إجمالي إنتاج الولاية وتُمثل الاشكال الأخرى من الصيد مثل الجر والاسفنج وجمع المحار أقل من 1 %.[8] مع العلم أنّ بعض المصائد مثل جمع المحار لا تتم ممارستها في شواطئ جرجيس وبوغرارة منذ سنة 2017. وقد بلغ إنتاج الثروة السمكية والاستزراع المائي بولاية مدنين حوالي 14078 طن سنة 2018 مما يضعها في المرتبة الخامسة على الصعيد الوطني بعد المنستير والمهدية وصفاقس ونابل. وشهدت سنة 2018 انخفاضا حادا في الإنتاج من 18496 طن سنة 2017 إلى 14078 طن سنة 2018. ورغم تراجع الإنتاج إلا أن القيمة قد ارتفعت من 127 مليون دينار سنة 2017 إلى 150 مليون دينار سنة 2018.[9]

رغم القيمة والمكانة الاقتصادية للقطاع الصيدي في البلاد التونسية، ورغم أهمية هذا القطاع في ولاية مدنين، إلا أنّ مصائد الأسماك التونسيّة اليوم، والتّي يعتمد عليها أكثر من 100.000 شخص والتّي توفّر متوسّط 11.5 كغ/ السنة/ للفرد من المأكولات البحريّة، تواجه العديد من التحديّات. يشكو هذا القطاع من ضعف شديد بسبب الاستغلال المفرط لموارد مصائد الأسماك القاعية والتلوّث والصيّد غير القانوني، وتهديدات جديدة مرتبطة بتغيّر المناخ.[10] حيث يُعاني صيد الأسماك في تونس من تبعات ارتفاع مستوى سطح البحر وارتفاع درجة الحرارة وتحمّض المياه البحريّة. كما أنّ تداعيات الأحداث المناخية المتطرفة على اليابسة (الفيضانات وموجات الحرّ والعواصف) لها أيضا عواقب وخيمة على استدامة نشاط الصيّد في تونس.[11]

يتميز المجتمع المحلي بجرجيس وبوغرارة بتقاليد وراثية وتاريخية واقتصادية في المجال والقطاع الصيدي، وتتأثر هاتان المنطقتان بفعل تغيّر المناخ والتلوث البيئي والصيد العشوائي. كما صارت جرجيس خلال السنوات الأخيرة وخاصة بعد سنة 2011 إحدى المناطق والبؤر الهجرية بطريقة غير نظامية وفي سياقات السياسات الهجرية الوطنية والدولية غير العادلة تحوّلت إلى مقبرة للمهاجرين مما أدى إلى تشكل حركات احتجاجية ونضالية عاشتها شبه الجزيرة الجرجيسية في خريف 2022. وهكذا فإنّ هذه الأحداث المرتبطة بتغير المناخ وتدهور النظم البيئية، في فضاء جغرافي يُعتبر محطة انطلاق للمهاجرين وفي ظرفية تحتل فيها مصائد الأسماك مكانة مهمة في إنتاج الغذاء العالمي، كانت أحد العوامل التي حفزتنا للاشتغال على المجتمع الصيدي بجرجيس وبوغرارة.

8 Hervé Bru, Marouane Chikhaoui, Chaine de valeur pêche et aquaculture dans le gouvernorat de Mednine : Cartographie et plan d'action à court et à moyen terme, UE, programme IRADA, 2020. P 10.

9 Ibid. P 9.

10 Céline Deandreis et al., Op.cit. P 79.

11 Ibid.

III. البنية التحتية للميناء، اليد العاملة وأسطول صيد السمك بجرجيس

في سنة 2020، يوجد في تونس 41 ميناء بحريا وساحليا منتشرة على طول الساحل باستثناء سدود الحماية ونجد منها 8 موانئ للصيد في ولاية مدنين: جرجيس، حومة السوق، الكتف، القرين، حاسي جلابة، أجيم، بوغرارة، أغير. وقد عزّزت هذه الاستثمارات القطاع وأدّت إلى زيادة الإنتاج السمكي الوطني ممّا ساهم في الأمن الغذائي بالبلاد. ويعتبر ميناء جرجيس الذي تأسس سنة 1978 مع امتداده سنة 2002 هو الميناء الرئيسي لولاية مدنين مع أكمل مرافقه. ويقع ميناء الصيد في الطرف الجنوبي من الساحل الشرقي، جنوب شرق مدينة جرجيس. ومعدات التبريد والتخزين مهمة في هذا الميناء، حيث نجد خمسة مجمعات مبردة.[12] ويُمثل أسطول الصيد على مستوى ولاية مدنين حوالي 21 % من الاسطول الوطني. (2823 وحدة في مدنين لـ 13541 وحدة على المستوى الوطني). ويتكون هذا الاسطول بشكل أساسي من صيد الأسماك على الشاطئ وصيد الأسماك الزرقاء.[13]

على مستوى الصيد الصناعي: هناك ثلاثة أنواع من القوارب معترف بها عموما على أنها تعمل فيما يسمى بالصيد الصناعي: سفن صيد (402 وحدة وطنية ووحدتان في ميناء جرجيس)، قوارب سردين (373 وطنيًا و26 في جرجيس)، وشباك صيد. وعلى مستوى الصيد الساحلي: تُعد وحدات الصيد الساحلي أهم جزء من الاسطول في ولاية مدنين وعلى المستوى الوطني. ويبلغ عدد القوارب بالمحركات من 700 إلى 800 (5000 على المستوى الوطني) والوحدات دون محركات حوالي 1500 وحدة (6500 على المستوى الوطني).[14]

إلى حدود شهر أفريل من سنة 2023، يتكون الميناء الصيدي بجرجيس من 220 مركب بالمحرك (أي بإمكانه الابحار على بعد حوالي 20 ميل والميل حوالي 1،8 كلم)، و680 مركب دون محرك (أي يُبحر على حوالي بعد 5 أميال) أي بمجموع 900 قارب صيد ساحلي مع العلم أنّه من سنة 1995 لم تنضف أي رخصة صيد ساحلي بجرجيس.[15] في حين أن بيانات ديوان تنمية الجنوب بمدنين وخلال سنة 2020 تشير إلى وجود حوالي 775 مركب صيد ساحلي دون محرك و286 بالمحرك أي بمجموع 1043 قارب صيد ساحلي.

في القطاع الصيدي وبعد ولاية صفاقس، تحتل ولاية مدنين المرتبة الثانية على الصعيد الوطني من حيث اليد العاملة، ويعمل بهذا القطاع حوالي 8845 عامل. من حيث أنواع الصيد، يصنف الصيد الساحلي على أنّه المزود الرائد للوظائف ب 6541 عامل، وفي

12 Hervé Bru, Marouane Chikhaoui, Op.cit. P 12.

13 Ibid. P 13.

14 Ibid.

15 المندوبية الجهوية للتنمية الفلاحية بولاية مدنين: قسم الصيد البحري وتربية الأسماك بجرجيس.

جرجيس هناك حوالي 4000 بحّار.[16] ويقع أكبر تجمع لوحدات الصيد في ميناء جرجيس ويوجد بهذا الميناء جميع أنواع الصيد بولاية مدنين.[17]

IV.النساء العاملات في القطاع الصيدي بمنطقة بوغرارة

تلعب نساء بوغرارة دورا هاما في النشاط الصيدي حيث يتم إشراكهن في عمليات تجهيز المعدات الصيدية كما يقمن أيضا بجمع المحار الذي يعتبر أحد أهم موارد الرزق للنساء العاملات في القطاع الصيدي. ويبلغ عدد النساء العاملات في القطاع الصيدي بولاية مدنين حوالي 3000 امرأة من بينهن 2000 ينشطن في جمع المحار (وفيهن فقط 19 امرأة لهن بطاقة مهنية) و1000 امرأة يشتغلن في صنع وصيانة (خياطة) الشباك.[18] وتنحدر أغلب النساء العاملات في المحار من سيدي مخلوف وبوغرارة. [19]ويتم تصدير المحار إلى إيطاليا وإسبانيا على وجه التحديد. ويمتد نشاط جمع المحار من شهر أكتوبر إلى أفريل من الساعة السابعة صباحا إلى غاية الساعة الثالثة بعد الظهر وتجمع كل منهن حوالي كيلوغرامَيْن من المحار مقابل أجر يبلغ 8 دنانير، أي أقل بكثير من الحدّ الأدنى الوطني للأجور. [20]

V.تقنيات البحث

1.معالجة البيانات الكمية

اعتمدنا في جمع البيانات الكمية على عينة «كرة الثلج» والتي يتعرف فيها الباحث على فرد من المجتمع الأصلي ويقوده لأفراد آخرين ليتسع نطاق معرفة الباحث بهذا المجتمع، حيث «يعتبر الفرد الأول النقطة التي سيبتدأ حولها التكثيف لاكتمال الكرة أي اكتمال العينة.»[21] وهكذا اتصلنا وانطلقنا في عملية البحث الكمي مع أحد بحارة الصيد الساحلي وناشط في جمعية البحار التنموية البيئية بجرجيس وعن طريقه توصلنا إلى ملء 203 استبيان. وعلى اعتبار أنّ عدد بحارة الصيد الساحلي بجرجيس يصل إلى حوالي 4000 بحّار وذلك وفقا بيانات المندوبية الجهوية للتنمية الفلاحية بمدنين قسم الصيد البحري وتربية الأسماك بجرجيس، فإن

16 المندوبية الجهوية للتنمية الفلاحية بولاية مدنين: قسم الصيد البحري وتربية الأسماك بجرجيس.

17 أنظر المحلق عدد 1 ص 88.

18 المندوبية الجهوية للتنمية الفلاحية بولاية مدنين: قسم الصيد البحري وتربية الأسماك بجرجيس.

19 مقابلة مباشرة أجريت يوم 8 ماي 2023 على الساعة 11 صباحا بالمندوبية الجهوية للتنمية الفلاحية بمدنين: قسم الصيد البحري وتربية الأسماك بجرجيس، مع س، ق مسؤول بقسم الصيد البحري وتربية الأسماك بجرجيس.

20 آمنة بن كحلة، دراسة حول صغار البحارة ووضعية الصيد الساحلي في جرجيس وقرقنة وطبلبة، المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية، 2021، ص 10.

21 محمد در، أهم مناهج وعينات وأدوات البحث العلمي، مجلة الحكمة للدراسات والتربوية والنفسية- مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر 2017، ص، 309 -325 ص 316.

العينة المستجوبة تمثل 5 % من مجتمع الصيد الساحلي بجرجيس. وجدير بالذكر أنّ العمل الميداني وملء الاستمارات دامت حوالي النصف الأول من شهر ماي لسنة 2023.

تظل الأرقام غير كفيلة بالفهم والتفسير، لذلك عززنا البيانات الكمية بالاعتماد على الطريقة الكيفية وذلك من خلال تقنية الملاحظة المباشرة والمحادثات نصف الموجهة.

2.معالجة البيانات الكيفية

الملاحظة بشكل عام هي سلوك معرفي و «طبيعي» يقوم به الجميع بطريقة فعّالة في تدقيق الأنشطة اليومية،[22] والملاحظة المباشرة لها مصلحة معيّنة في الكشف لا عن الأنشطة اليومية فقط بل عن الأنشطة الحقيقية[23] التي يبحث عنها الباحث. وهكذا فإننا عملنا على تقنية الملاحظة المباشرة بفضاء الميناء الصيدي بجرجيس وبمدرسة الصيد البحري بجرجيس وذلك من خلال رصد بعض الأفعال أو المفردات المتعلقة ببحارة الصيد الساحلي.

رغم مزاياها إلا أن تقنية الملاحظة المباشرة لا توفر الوصول إلى قدر معيّن من المعلومات وهذا ما يتطلب اللجوء إلى المعرفة والذاكرة التي يتسّم بها الفاعلون المحليون، ومن ثمّ لأنّ تمثلاتهم هي عنصر أساسي لفهم أي مجتمع. وتظل المقابلة وسيلة مميّزة وغالبا ما تكون الأكثر اقتصادا لإنتاج معطيات استطرادية تتيح الوصول إلى التمثلات الشعبية والمحلية[24]. فـ «المقابلات هي طريقة مميّزة للتعرّف على المواقف والقيم.»[25]

حول تقنية المقابلة فإننا اعتمدنا على تقنية المحادثة نصف الموجهة وقمنا بإجراء 19 مقابلة.[26] أما بالنسبة لفئة النساء العاملات في القطاع الفلاحي فقد قمنا ب 8 مقابلات مع نساء يشتغلن بخياطة وصيانة وترقيع الشباك وجمع المحار وبورشة لصنع الدراين، وتنحدر النسوة التي تمت معهن المقابلات من منطقة بوغرارة التابعة لولاية مدنين، حيث قمنا بإجراء 5 مقابلات مع خمس نسوة في منطقة بوغرارة. أما البقية وعددهن 3 نساء فقد قمنا بمقابلتهن أيام 10 و11 مارس 2023 وذلك بمناسبة المؤتمر الوطني للعاملات

22 Jean- Pierre Olivier de Sardan, La rigueur du qualitatif : Les entretiens empiriques de l'interprétation socio-anthropologique, Academia Bruylant, Louvain- La- Neuve, France, 2008. P 6.

23 Hiroko Norimatsu, Pascal Gazenave- Tapie, Techniques d'observation en Sciences humaines et sociales, Congrès international Société d'Ergonomie de Langue Française, 2017, Toulouse, France, pp 529- 532. P 531.

24 Jean- Pierre Olivier de Sardan, Op.cit. P 54.

25 Russell Bernard, Research methods in Anthropology: Qualitative and Quantitative Approaches, Fourth Edition, Oxford, 2006. P 413.

26 تنقسم بين 11 من جنس الذكور و8 من جنس النساء. ينحدر الذكور من جهة جرجيس ويتوزعون كالآتي: 6 بحارة صيد ساحلي من بينهم ناشطيْن اثنيْن في جمعية البحارة التنموية البيئية بجرجيس. فاعل بجمعية البحار التنموية البيئية وصاحب مركب للصيد الترفيهي، إطارين اثنيْن بمدرسة الصيد البحري بجرجيس، وإطارين اثنيْن بالمندوبية الجهوية للتنمية الفلاحية بمدنين: قسم الصيد البحري وتربية الأسماك بجرجيس.

في القطاع الفلاحي بمدينة الحمامات وبتنظيم من المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية. إذن فعلى غرار النساء اللاتي تمّت مقابلتهن في مدينة الحمامات فإنّ كل المقابلات الأخرى والملاحظات الميدانية تمّت خلال النصف الأول من شهر ماي لسنة 2023 وذلك بمدينة جرجيس ومنطقة بوغرارة.

VI. تقديم ملامح وخصائص العينة المستجوبة

خلال النصف الأول من شهر ماي لسنة 2023، تم توزيع وملء 203 استبيان موجه لقطاع الصيد الساحلي بجرجيس. واختيار هذه الفترة الزمنية ليس عشوائيا، فبعد الاتصال بالصيادين تأكد لنا أن تلك الفترة هي موسم الجمبري، وبإمكان الباحث وفريق العمل أن يجد عديد البحارة في الميناء الصيدي بجرجيس على اعتبار أنّ الصيادين لا يبحرون لأيام كثيرة، فبعد أن تمتلئ الشباك بالجمبري والتي عادة ما تكون لفترة تمتد من 12 إلى 24 ساعة يعودون مباشرة إلى الميناء، وهكذا فإن هذا الموسم ييسر عملية إجراء الاستبيانات وجمع المعطيات الكمية وتم ملء الاستمارات بالميناء الصيدي بجرجيس وبمنطقة الجدارية من معتمدية جرجيس.

1. توزيع العيّنة حسب الجندر

إنّ 100 % من المستجوبين من جنس الذكور. فالفضاء الصيدي بجرجيس هو فضاء ذكوري بامتياز، والنساء المتحصلات على ملكية قارب صيد ساحلي هن قرابة 10 نساء لكنهن لا يشتغلن داخل البحر.[27] وفي دراسة سوسيولوجية حول مكانة المرأة في المهن الذكورية، يعتبر عدد من المستجوبين أنّ مصطلح «المهن الذكورية» هي بدعة تمّ خلقها لكبح المرأة وعدم الخروج عن عادات وتقاليد مجتمعنا المحافظ.[28] وفي الدراسة نفسها ولئن أكد بعض المبحوثين عن تأييدهم لعمل الإناث في المهن الذكورية غير مبالين بالعادات والتقاليد، إلا أن هناك عدد آخر من المستجوبين (سواء كانوا إناثا أو ذكورا) يؤكدون على حق المرأة في العمل، ولكنهم يرفضون عملها في المهن الذكورية لاعتبار عدد من الأسباب منها «أن العمل في هذه المهن يجعل من المرأة مشابهة للرجل ويفقدها أنوثتها، ويعتبرون أيضا أن للمرأة طبيعة فيزيولوجية متميزة عن الذكور مثل البنية الجسدية الرقيقة وبالتالي يرفضون انخراطها في المهن الذكورية أو المهن القاسية، كما يبرر المستجوبون رفضهم لالتزام المرأة في هذه الأنشطة المهنية بتعلة «أطروحة تقسيم العمل المنزلي»، وفقا لهم فإن عملها في المهن الذكورية سيكون سببا في تقصيرها في أدائها لمهامها كأم وزوجة، ويتفق عدد من المستجوبين أن عمل المرأة في الأعمال الذكورية سيسبب «سوء تربية الأطفال»، وغيرها من التبريرات الفكرية

27 المندوبية الجهوية للتنمية الفلاحية بمدنين: قسم الصيد البحري وتربية الأسماك بجرجيس.

28 سلمى برنيص، مكانة المرأة في المهن الذكورية: المجال العسكري مثالا، رسالة بحث لنيل شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع، إشراف: سهام النجار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، جامعة تونس، 03 نوفمبر 2020، ص 107.

والأيديولوجية»[29]. وفي هذا الاطار تقول م. ش. : « **إنّ عدم اشتغال المرأة في القوارب وداخل البحر هو أمر يعود للعقليات**».[30] ومن جهته يقول م. ع. : « **العملية في جرجيس هي عملية مجتمعية وليست متداولة، كما أنّ بحر جرجيس هو بحر صعب ويُحب تحمل الطاقة، والمرأة يمكنها أن تتحمل ولكن ليس مثل الرجل.**»[31]

تشير هذه المعطيات إلى مفهوم الذكورة المهيمنة وقِوامها: « جملة من المبادئ والممارسات الجندرية التّي تُشَرعِنُ الهيمنة وتجعلها مقبولة في مجتمع ما. ومن بين هذه المبادئ نشير إلى معايير السلطة والثراء والبأس فضلا عن السن والعرق».[32] وجدير بالذكر أن ذكورية العمل والفضاء ليس أمرا خاصا بالقطاع الصيدي سواء كان في جرجيس أو في مناطق أخرى وإنما هو أمر وإشكال لايزال عالقا في البنية المجتمعية التونسية وفي عديد المؤسسات والقطاعات التونسية خاصة تلك القطاعات التي يعتبرها الذكور مهنًا شاقة مثل القطاعات المنجمية خاصة داخل مقاطع ومغاسل الفسفاط.

2.العينة المستجوبة حسب الفئة العمرية

رسم بياني عدد 1: توزيع العينة المستجوبة حسب السن

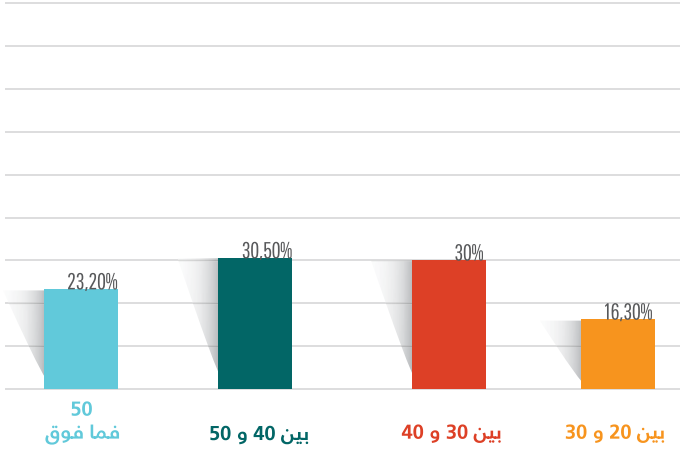

المصدر: العمل الميداني.

29 سلمى برنيص، مرجع سابق، ص 118، 119، 120.

30 مقابلة مباشرة، أجريت يوم 11 ماي 2023 على الساعة العاشرة صباحا بمنطقة بوغرارة مع م، ش، البالغة من العمر 22 سنة وصاحبة ورشة لامعة لتغليف وصنع الدراين ببوغرارة.

31 مقابلة مباشرة أجريت يوم 7 ماي 2023 على الساعة السادسة مساءا بمقهى بيغين بجرجيس مع م، ع، فاعل في جمعية البحار التنموية البيئية بجرجيس.

32 رضا كارم، البائع المنتصب في سوق نهج إسبانيا بين ذكورة الأنموذج وذكورة الآخر، في سوق نهج إسبانيا أو منهاج الاقتصاد الشارعي في تونس: مقاربة سوسيو أنثروبولوجيّة، تحرير وتنسيق: سفيان جاب الله، المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية، 2022، ص 171 -198 ص 178.

منـذ أن يـزور المـرء الميناء الصيـدي بجرجيـس سـيلاحظ أنّ الفضـاء ليـس فضـاء شـابا، وكـما يوضـح الرسـم بيـاني عـدد 1 فـإن العمـل في قطـاع الصيـد السـاحلي لا يسـتهوي الفئـات الشـابة، فمعـدل الاعـمار يبـدو مرتفعـا إلى حـدّ مـا، فالشـباب غـير مقبـل عـلى العمـل في هـذا القطـاع وهـذا مـا سـنفسره لاحقـا.

3.توزيع العينة حسب الحالة المدنية

لـئن كانـت معـدل أعـمار 53.70 % مـن أفـراد العينـة مـن سـن الأربعـين فـما فـوق، فمـن الطبيعـي أن تكـون الحالـة المدنيـة لأغلـب أفـراد العينـة المسـتجوبة مـن المتزوجـين (62 %). ولكـن في ظرفيـة صعبـة يمـر بهـا قطـاع الصيـد السـاحلي فـإن العديـد مـن البحـارة أيضـا غـير متزوجـين (30 %)، فمـورد الـرزق هـذا الـذي كان بإمكانـه أن يؤسـس أسرة فيـما مـضى لم يعـد اليـوم يوفـر الحاجيـات الأساسـية ولم يعـد يؤسـس لأسرة وفقـا لشـهادات البحـارة المسـتجوبين. كـما نجـد في عينـة الدراسـة 8 % منهـم مطلقـين.

4.العينة المستجوبة وفقا للمستوى التعليمي

رسم بياني عدد 2: توزيع العينة حسب المستوى التعليمي

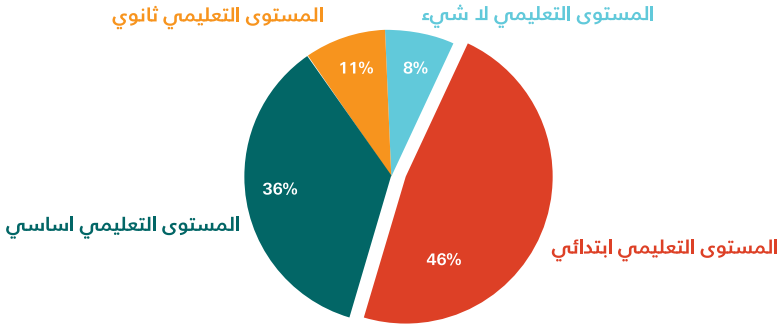

المصدر: العمل الميداني

يتسـم الميناء الصيـدي بجرجيـس ببحـارة متعلمـين، ولكـن يبـدو أن العمـل والانخـراط في قطـاع الصيـد السـاحلي لا يسـتهوي أصحـاب الشـهادات الجامعيـة، فوفقـا لأفـراد العينـة لا نجـد أي بحـار مـن مسـتوى تعليمـي جامعـي، فأغلبهـم مـن مسـتوى تعليمـي ابتـدائي ثـم أسـاسي ثـم ثانـوي، أمـا غـير المتعلمـين فنسـبتهم ضئيلـة ب 7 %.

5.التغطية الاجتماعية حسب العينة المستجوبة

بالنسـبة للتغطيـة الاجتماعيـة فـإن أوضـاع جميـع الصيادين متشـابهة حيـث لا يتمتـع سـوى 12 % مـن جملـة البحـارة في تونـس والذيـن يبلـغ عددهـم 54 ألفـا بالضـمان الاجتماعـي حسـب

احصائيات الاتحاد التونسي للفلاحة والصيد البحري.[33] وحسب أفراد العينة المستجوبة فإن 46 % فقط لديهم تغطية اجتماعية في حين أنّ 54 % منهم لا يتمتعون بذلك.

6.وراثة المهنة والوظيفة في القطاع الصيدي

في المجتمع الصيدي الجرجيسي ينتقل العمل والنشاط الصيدي من الأسلاف إلى الأحفاد، ويجد هذا الانتقال تفسيراته ضمن المقاربة التاريخية حيث أنّ اختصاص جزء من مواطني جرجيس في النشاط الصيدي منذ أكثر من قرن قد أدى إلى بروز تقاليد مرتبطة بالنشاط الصيدي من ناحية وإلى تطور تدريجي في عدد البحّارة من ناحية أخرى. لقد قدر عدد بحارة جرجيس في سنة 1905 ب 315 بحار وارتفع هذا العدد ليصل إلى 717 سنة 1930.[34] واستمرت هذه التقاليد إلى حد ما حتى في سياقات حينية، حيث أن 74.60 % من المستجوبين ينتمون إلى عائلات اشتغلت بالقطاع الصيدي. وهكذا يعتبر النشاط الصيدي بجرجيس نشاطًا وراثيًا. أما عن خططهم ووظائفهم في هذا القطاع فهي متنوعة من القبطان إلى الطبّاخ، ولكن يمتهن أغلب أفراد العينة نشاط «البحري» بنسبة 44.30 % وهو العامل في الطاقم الصيدي.

رسم بياني عدد 3: النشاط الوراثي والوظيفة في القطاع الصيدي حسب العينة المستجوبة

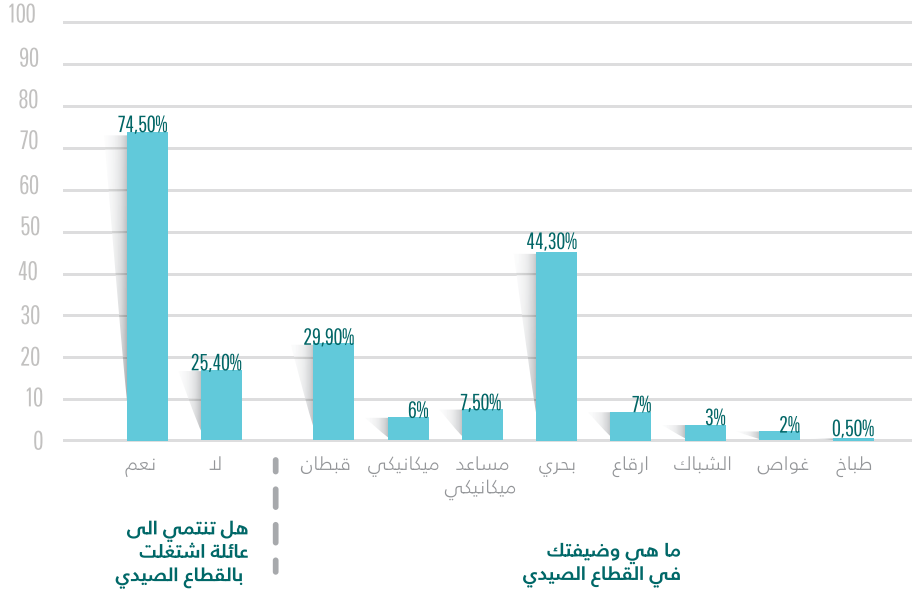

المصدر: العمل الميداني.

33 آمنة بن كحلة، مرجع سابق، ص 10.

34 سالم الأبيض، تاريخ شبه جزيرة جرجيس من العصور القديمة إلى نهاية الاحتلال الفرنسي: دراسة اجتماعية تاريخية في التاريخ المحلي، تقديم: نور الدين سريب، الشركة العامة للطباعة سوجيم، تونس، 2001، ص 165.

7.أصحاب المراكب وطريقة الحصول عليها حسب العينة المستجوبة

ربما سيلاحظ القارئ هنا المفارقة فلئن كانت وظيفة القبطان لا تمثل سوى 29.90 % من العينة المستجوبة، فإن 57.60 % من أفراد العينة أيضا هم من أصحاب المراكب، وهذا ما يعني أن صاحب المركب ليس بالضرورة أن يكون قبطانًا بل يمكنه أن يشتغل وظائف أخرى أثناء الرحلة الصيدية، ولكن من المهم القول أنّ وراثة المهنة والقوارب هي أحد العوامل التي ساهمت في استمرارية نشاط وقطاع الصيد الساحلي. ولكن هذا لا يمنع من أنّ 22.70 % من المستجوبين اشتغلوا أجراء وادخروا المال وقاموا بعد ذلك بعملية استقلاليتهم المهنية من خلال شراء قوارب خاصة بهم، كما يضطر بحارة آخرون لشراء المركب عن طريق الاقتراض.

رسم بياني عدد 4: ملكية قوارب الصيد الساحلي وطريقة الحصول عليها حسب العينة المستجوبة

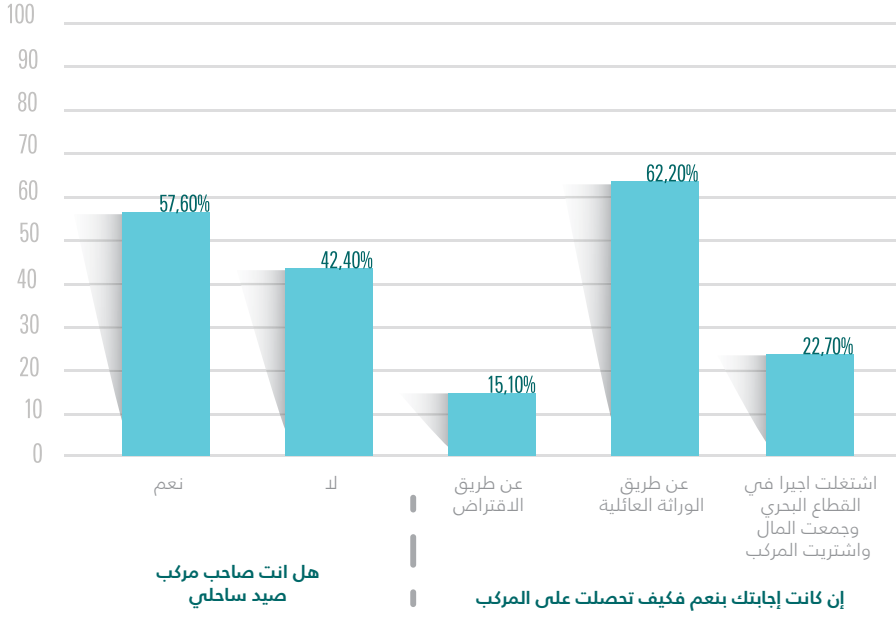

المصدر: العمل الميداني

8.الديون وتَعَدُد موارد الرزق حسب المستجوبين

في ظـروف تـردي الأوضـاع الاقتصاديـة والاجتماعيـة، وعـدم دعـم الدولـة لقطـاع الصيـد السـاحلي، فـإن بعـض البحـارة سـيلجؤون إلى الاقـتراض والتدايـن، فالـذي لا يمتلـك مـوارد كافيـة للإبحـار والاصطيـاد سـيضطر إلى الاقـتراض مـن قبـل تجـار السـمك الكبـار، وتشـكل الديـون أحـد المحفـزات التـي تدفـع بالبحـار إلى بيـع قاربـه إلى شـبكات التهجـير وسـنوضح هـذا لاحقـا.

بالنسـبة للعديـد مـن بحـارة الصيـد السـاحلي، فـإن هـذا القطـاع لم يعـد يلبـي الحاجيـات الاجتماعيـة والاقتصاديـة، وهكـذا يكافـح الصيـادون مـن خـلال البحـث عـن عمـل ومـورد رزق آخـر يمكـن مـن خلالـه تلبيـة الحاجيـات المعيشـية والضروريـة.

رسم بياني عدد 5: مصادر الرزق الأخرى والديون المتخلدة وفقا للعينة المستجوبة

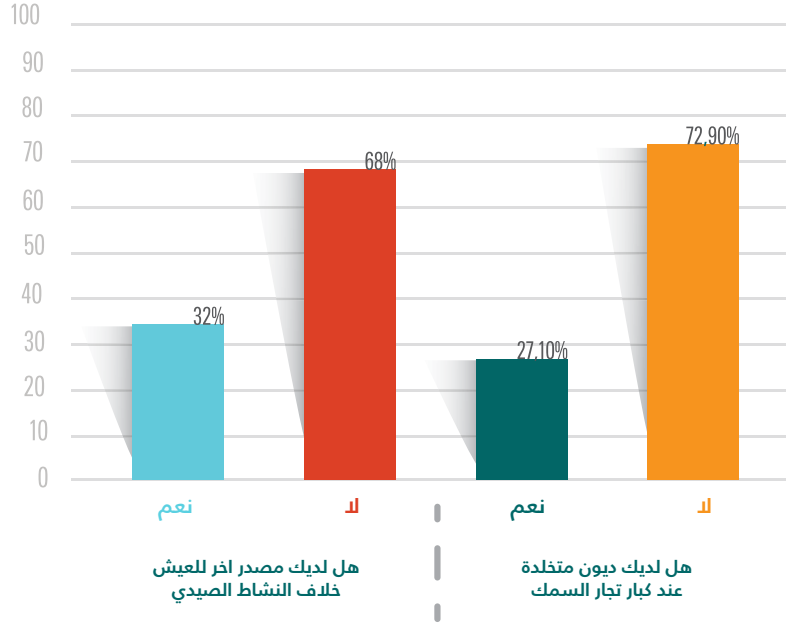

المصدر: العمل الميداني

9.الانخراط الجمعياتي والسياسي لبحارة الصيد الساحلي بجرجيس

رسم بياني عدد 6: المنخرطين في العمل الجمعياتي والسياسي حسب العينة المستجوبة

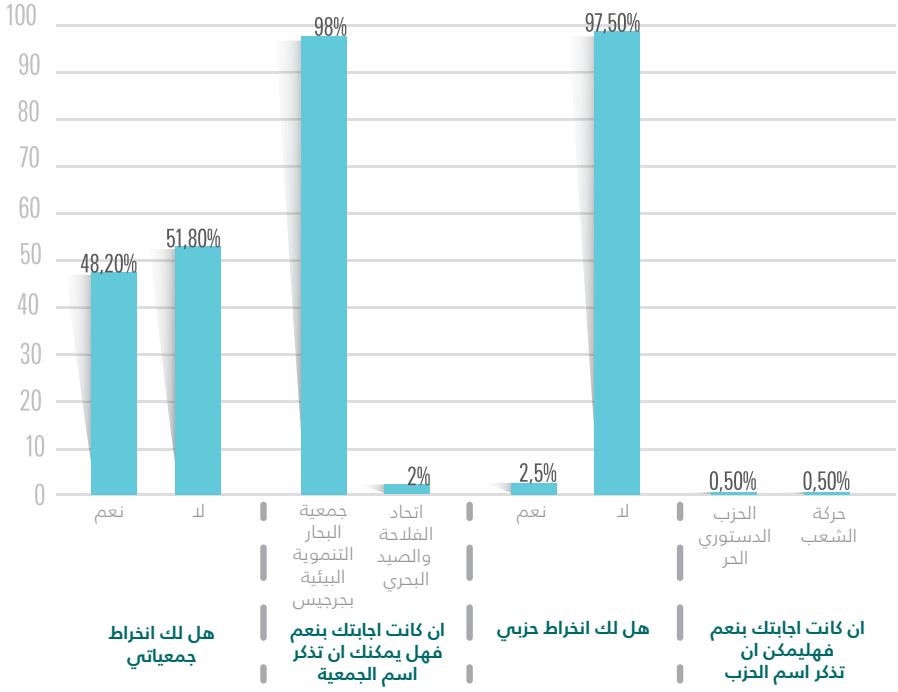

المصدر: العمل الميداني

لعبت جمعية البحار التنموية البيئية في جرجيس دورا اجتماعيا ومجتمعيا وتأطيريا مُهِمًا، فقد عملت هذه الجمعية على تقديم دورات تكوينية لفائدة البحارة، وكافحت أيضا ولاتزال تكافح من أجل بناء الدلالات والمعاني، حيث يبني هذا الجسم الجمعياتي إطارًا يناضل من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية سواء كان لفائدة البحارة أو لفائدة الجهة. وتنخرط هذه الجمعية حتى في القضايا الهجرية، فبعد غرق القارب في جرجيس يوم 21 سبتمبر 2022 ودفن الجثث في مقابر حدائق إفريقيا دون تحاليل جينية عملت الجمعية على تأطير وتعبئة الحركات الاحتجاجية المحلية من أجل كشف ما وقع للقارب وإيجاد المفقودين والمفقودات.[35] وهكذا ومن خلال مصداقيتها المحلية لقيت هذه الجمعية مكانة اجتماعية ومجتمعية ساعدتها على استقطاب العديد من البحارة على عكس اتحاد الفلاحين الذي لقي نفورًا من قبل بحارة الصيد الساحلي في جرجيس. أما عن الحياة السياسية، وفي سياق الشعبوية، فإن بحارة الصيد الساحلي في جرجيس لا ينخرطون في الاجسام والأحزاب السياسية.

35 لمزيد القراءة حول حركة جرجيس يمكن للقارئ العودة إلى: خالد طبابي، جثث عائمة وأرواح هائمة عبث الدفن ودولة الاحتقار: مأساة شبه الجزيرة الجرجيسية، المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية، 2022.

الفصل الأول:

أثر التغيرات المناخية على الظروف السوسيو- اقتصادية لبحارة الصيد الساحلي والحرفي

مقدمة

عبر التاريخ قد تحدث التغيرات المناخية بصفة طبيعية. ولكن منذ عقود، وفي العالم تعالت أصوات العديد من الفاعلين والسياسيين والباحثين التي تنبه العالم بشأن تغير المناخ. ورغم ذلك إلاّ أن الألفية الجديدة قد بشّرت بإثارة قوية وبشكل متزايد للاهتمام العام والخاص والدولي بهذه المسألة. وفي هذا الإطار جاءت العديد من التقارير الدولية لتؤكد أنّ تغير المناخ لا يحدث بصفة طبيعية وإنما بسبب النشاط البشري، وهي نقطة أوضحها تقرير التقييم الرابع للهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغير المناخ الصادر سنة 2007.[36]

لأسباب طبيعية وأخرى مرتبطة بالنشاط البشري والمتمثّل في الحرق المتزايد للوقود الاحفوري والانبعاثات المتزايدة للغازات الدفيئة والتي من أهمها ثاني أكسيد الكربون والمثان برزت ظواهر مناخية مثل الاحترار العالمي وتقلص الأمطار وارتفاع مستوى سطح البحر وتحمّض المحيطات وتصاعد وتيرة العواصف والفيضانات وغيرها من الظواهر المناخية التي يعيشها العالم في سياقات حينيّة.

في هذا السياق، يبحث هذا الفصل عن التغيرات المناخية التي يعيشها البحر الأبيض المتوسط وخاصة بالمنطقة الصيدية الجنوبية التونسية، وعن تأثير هذه التغيرات على الحياة الاقتصادية والاجتماعية لبحارة الصيد الساحلي بجرجيس والحرفي ببوغرارة. فهل يمكن للتغيرات المناخية أن تساهم في هشاشة الأوضاع السوسيو- اقتصادية لمجتمع الدراسة؟ وكيف يمكن أن نفسر ذلك؟

36 تقرير التقييم الرابع للهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغير المناخ: تغير المناخ 2007.
IPCC. https://www.ipcc.ch/languages-2/arabic/publications-arabic.

ا.ملاحظة المجتمع الصيدي للتغير المناخي

قبل التطرق إلى الأسئلة ذات الصلة بالمناخ والظروف الاقتصادية والاجتماعية والثروة السمكية والقرار الهجري، أردنا معرفة ما إذا كان بحارة الصيد الساحلي بجرجيس قد لاحظوا وجود تغيرات مناخية، وإن وجدت ما هي أهم الظواهر التي رصدوها، لتكون الإجابة كما في الشكل أسفله.

رسم بياني عدد 7: مدى معرفة المجتمع الصيدي بالتغير المناخي والظواهر التي لاحظوها حسب العينة المستجوبة

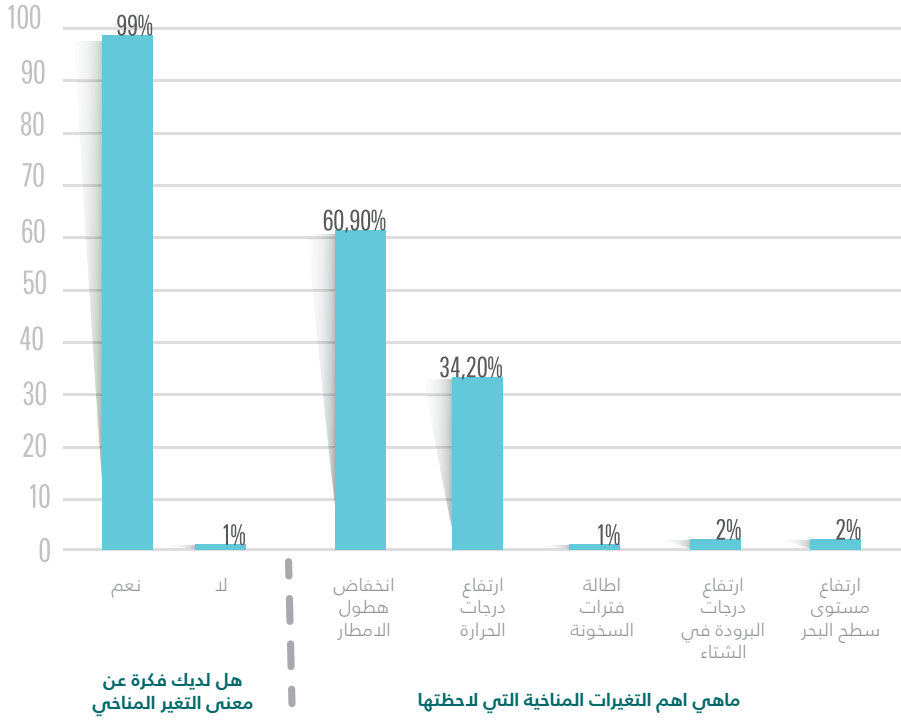

المصدر : العمل الميداني

سوسيولوجيا، يتطلب فهم المناخ استخدام «الخيال السوسيولوجي» للفرد. ووفقا لعالم الاجتماع الأمريكي **رايت ميلز**، فإن الخيال السوسيولوجي يُمَكِّنُنَا من «القدرة على رؤية العلاقة بين حياة الأفراد وتأثيرات القوى الاجتماعية الأكبر».[37] ويشير **ميلز** إلى هذا على أنّها طريقة ورؤية للتفكير اجتماعيا، فهي رؤية التقاطعات بين المشاكل الشخصية والقضايا العامة، بين السيرة الذاتية والتاريخ، بين الفرد والمجتمع.[38] فإذا كان شخص واحد فقط يعاني من تغير المناخ فسيكون ذلك مشكلة شخصية، ولكن في الحقيقة وبطريقة أو بأخرى

37 http://tinyurl.com/3rwr77tr

38 Ibid.

فـإن تغـير المنـاخ هـو قضيـة عامـة. فمـن خـلال ملاحظـة البحـارة وبصفـة تبـدوا جماعيـة للتغـيرات المناخيـة يتضـح أن المنـاخ هـو قضيـة ومسـألة جماعيـة وكونيـة وليسـت فرديـة.

حـول الفـترة الزمنيـة التـي بـدأ فيهـا الصيـادون يلاحظـون هـذه التغـيرات، فهـي متنوعـة، يـرى 45 % مـن أفـراد العينـة أن التغـيرات المناخيـة قـد بـدأت منـذ 5 سـنوات مضـت، ويكشـف الاسـتبيان عـن 33.70 % بأنهـم قـد لاحظـوا التغـيرات مـن 5 إلى 10 سـنوات، أمـا 9.90 % يرونهـا منـذ 10 إلى 15 سـنة، و6.40 % مـن 15 إلى 20 سـنة، في حـين يـرى 5 % أن التغـيرات المناخيـة قـد انطلقـت مـن 20 سـنة فـما أكـثر. وتؤكـد هـذه الإجابـات عـلى اسـتحالة حـصر فـترة زمنيـة معينـة لبدايـة التغـير المناخـي ولكـن هنـاك اجـماع عـلى الأقـل أنّـه منـذ 5 سـنوات بـدأ المنـاخ في التغـيّر. ومـن جهـة أخـرى يعتـبر 96 % مـن العينـة المسـتجوبة أن التغـيرات المناخيـة والبيئيـة خطـيرة جـدا في حـين يـرى 3 % منهـم أن التغـيرات خطـيرة و1 % يرونهـا تغـيرات طبيعيـة.

II. تأثير التغيرات المناخية على تقلص الثروة والمحاصيل البحرية والظروف السوسيو اقتصادية

1.تأثير ارتفاع درجات الحرارة على الثروة البحرية والظروف الاقتصادية

فيـما يتعلـق بمنطقتنـا المتوسـطية، مـن المهـم الإشـارة إلى أنـه في نوفمـبر 2020 نـشر خـبراء البحـر الأبيـض المتوسـط حـول المنـاخ والتغـير البيئـي تقريـر التقييـم المتوسـطي الأول حـول المنـاخ والتغـير البيئـي في حـوض البحـر الأبيـض المتوسـط.[39] وتعيـش المنطقـة المتوسـطية عـلى وقـع العديـد مـن التغـيرات المناخيـة مثـل الحـرارة، هطـول الأمطـار، ارتفـاع مسـتوى البحـر، الملوحـة وتحمـض ميـاه البحـر، الـخ. وسـتزداد تأثـيرات هـذه الظواهـر سـوءاً خـلال العقـود القادمـة، خاصـة إذا تجـاوز الاحـترار العالمـي مسـتوى مـا قبـل العـصر الصناعـي مـن 1.5 إلى 2 درجـة مئويـة. نتيجـة لذلك يجب تكثيـف الجهـود لتكـون قـادرة عـلى التكيـف مـع التغـيرات الحتميـة وتخفيـف آثارهـا. ويؤثـر تغـير المنـاخ والظواهـر المتطرفـة الأكـثر توتـرا وشـدّة فضـلا عـن زيـادة تملـح التربـة وتحمـض المحيطـات وتدهـور الأراضي بشـدة عـلى أنشـطة إنتـاج الأراضي والمنتجـات البحريـة. ويتوقع التقريـر أن تنخفض المحاصيـل في العقـود القادمـة في معظـم مناطـق الإنتاج الحالية وبالنسـبة لمعظم المحاصيـل الزراعية. مـن المحتمـل أن يتفاقـم هـذا الوضـع بسـبب ظهـور الآفـات ومسـببات الأمـراض. بالإضافـة إلى ذلك، فـإن ممارسـة الصيـد غـير المسـتدامة وغـزو الأنـواع غـير المحليـة والاحتبـاس الحـراري والتحمـض وتلـوث الميـاه تهـدد إنتـاج الغـذاء البحـري وتسـبب بحلـول عـام 2050 انقراضـا محليـا لأكـثر من 20 % مـن الأسـماك البحريـة واللافقاريـات البحريـة[40] المُسـتغلة.[41]

39 http://tinyurl.com/ye7zk92n

40 اللافقاريات البحرية هي حيوانات متعددة الخلايا تفتقر إلى العمود الفقري وتعيش في البيئة البحرية مثل الإسفنج والديدان البحرية والرخويات الخ.

41 Azzam Mahjoub, Mohamed Mondher Beghith, Op.cit. P 116.

بالنسبة لتونس بأكملها، ومقارنة بالفترة المرجعية (1961- 1990) تكشف نتائج التوقعات أنّ الارتفاع العام في درجات الحرارة سيكون +1.1 درجة مئوية بحلول سنة 2030، و+2.1 بحلول عام 2050. وتلاحظ بعض الدراسات أيضا زيادة في وتيرة وشدّة سنوات الجفاف الشديد سنة 2030، ومن المتوقع أن تختلف سنوات الجفاف والرطوبة بشكل كبير من موسم إلى آخر.[42] ويتوقع العديد من الخبراء الآخرين أنه في أفق سنة 2030 سترتفع درجات الحرارة بين 0.8 و1.3 درجة مئوية، وستكون هذه الزيادة أكثر وضوحا في المناطق القارية مع التغيّرات الموسميّة وموجات الحرارة المتزايدة في الصيف. كما يتوقعون أيضا انخفاضا في متوسّط هطول الأمطار السنوي يتراوح من 5 إلى 10 %. وبالتالي سيكون لتغيّر المناخ في المغرب العربي تأثيرات على المياه والغذاء والتنوّع البيولوجي والصحّة، وسيكون له تأثير سلبي على الثروة الحيوانية[43] وكذلك السمكية.[44] ويبيّن الجدول أسفله تطور درجات الحرارة في المياه السطحية التونسية من ثمانينات القرن الماضي وصولا إلى نهاية القرن.

جدول عدد 1: ملخص لتطوّر درجة حرارة سطح البحر الحالية، وفي أفق عام 2050 ونهاية القرن (2100) بتونس

الأفق الزمني	1980	2020	2050	2100
درجة حرارة المياه السطحية في منطقة الصيد الشمالية	19.0- 19.4 درجة مئوية	19.8- 20 درجة مئوية	20.4- 20.8 درجة مئوية	21.8- 22.4 درجة مئوية
درجة حرارة المياه السطحية في منطقة الصيد بالوسط	19.6- 20.0 درجة مئوية	20- 21 درجة مئوية	21.2- 22 درجة مئوية	22.2 – 23 درجة مئوية
درجة حرارة المياه السطحية في منطقة الصيد الجنوبية.	20- 21 درجة مئوية	21- 21.6 درجة مئوية	22.6- 23 درجة مئوية	23.2- 23.8 درجة مئوية

Source : Céline Deandreis et al, Op.cit. P 81.

كما أنّ ارتفاع درجة حرارة المياه السطحيّة يزيد من عمق الخط الحراري.[45] وسيكون لهذه الارتفاعات تأثيرات معيّنة على الموائل البحرية، وسوف تؤثر على التنوّع البيولوجي

42 Abdelala Bounouh, Sonia Gsir, Migrations et environnements en Tunisie : Relations complexes et défis pour le développement, Organisation Internationale pour les migrants, Tunis, 2017. P 90.

43 Ali Bouattour, Les changements climatiques et leurs impacts sur le secteur de l'élevage au Maghreb, Santé et environnement dans le bassin méditerranéen, Académie Tunisienne des Sciences, des Lettres et des Arts, Beit al-Hikma, Tunis, 2011. P 94.

44 Céline Deandreis et al, Op.cit. P 79.

45 La thermocline.

والموارد البحريّة، بما في ذلك تلك التّي يتمّ استغلالها عن طريق الصيد.[46] وأدّى الاتجاه الحالي في تغيير درجة الحرارة إلى حدوث خطر الإجهاد الحراري وهي عمليّة من المحتمل أن تتكثّف في المستقبل وتؤدي إلى اضطرابات عميقة على مستوى موارد مصائد الأسماك.[47] ووفقا لدراسات علمية فإن درجات الحرارة سترتفع بشكل غير متساو في مناطق الصيد الثلاثة (الشمالية، الوسط والجنوبية)، وسيشكّل خليج قابس "نقطة ساخنة" لهذا الارتفاع مع درجة حرارة سطح البحرالتي ستتراوح بين 20.4 و20.8 درجة مئوية بحلول عام 2050 وبين 21.8 و22.4 درجة مئوية بحلول نهاية القرن.[48] ومن المتفق عليه بالإجماع أنّ الزيادة في درجات حرارة المياه التّي تمّ إدراكها بالفعل والتّي هي قيد التقدّم تُشكّل مؤشرا رئيسيّا للتنبؤ بإنتاجيّة الأسماك وبالظروف الاقتصادية لبحارة الصيد الساحلي، حيث تقر هذه الفئة الأخيرة بجهة جرجيس بأنّ هناك علاقة بين ارتفاع درجات الحرارة وتردي حالتهم الاقتصادية وبالتالي التراجع في الموارد البحرية.

رسم بياني عدد 8: علاقة ارتفاع درجات الحرارة بتقلص المحاصيل البحرية حسب العينة المستجوبة

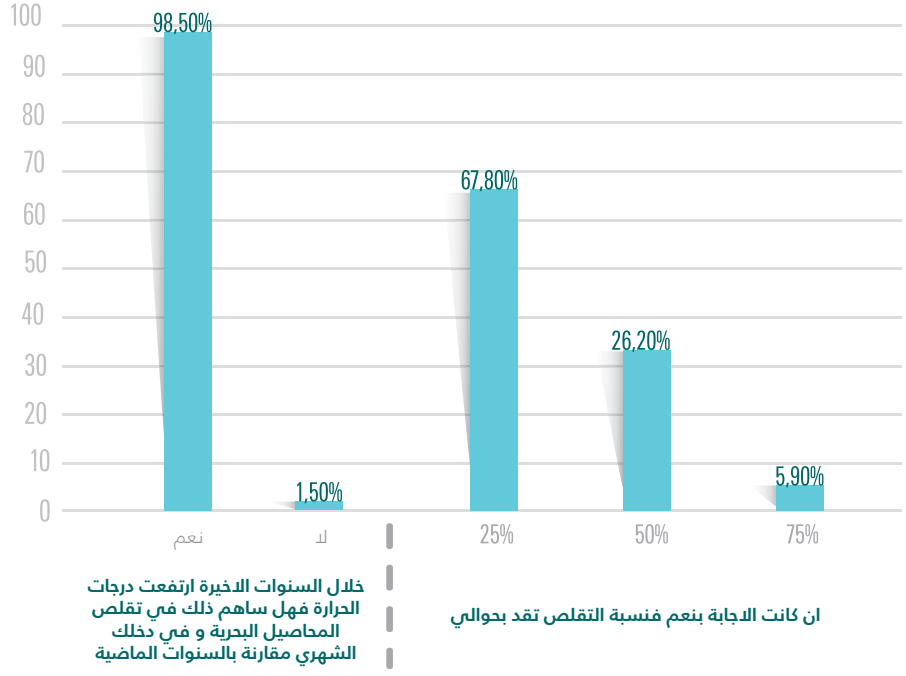

المصدر: العمل الميداني.

46 Céline Deandreis et al, Op.cit. P 80.

47 Ibid.

48 Ibid.

مـن خـلال الاسـتنطاقات الميدانيـة، ومـن خـلال الرسـم البيـاني عـدد 8، يتضّـح أن لارتفـاع درجـات الحـرارة تأثـيرات سـلبية عـلى الظـروف السوسـيو- اقتصاديـة للصيادين في جرجيـس. يوضـح م. ع. فكـرة تأثـير ارتفـاع درجـات الحـرارة عـلى مجتمـع الصيـد السـاحلي بقولـه: **"يُعتبر قطـاع الصيـد السـاحلي مـن أكـثر القطاعـات المتـضررة جـراء تغـيّر المنـاخ، فمثـلا في أواخـر أكتوبـر *2022* وأول نوفمـبر مـن نفـس العـام، وتلـك الفـترة هـي موسـم صيـد الأخطبـوط، فـإن درجـة الحـرارة في البحـر ارتفعـت إلى *6* درجـات مقارنـة بمعدلهـا العـادي. ويقـترب هـذا النـوع البحـري في تلـك الفـترة تحديـدا إلى الـبر وقـرب الحجـار مـن أجـل التكاثـر والتجـدد (وأنثـى الأخطبـوط تضـع بيوضهـا قـرب الحجـار وفي منـاخ غـير حـار)، وإذا كان البحـر شـديد الحـرارة فـإن الأخطبـوط يصعـب عليـه التكاثـر ويمـوت، وبالتـالي فإنـه لا يقـترب مـن الـبر وإن حـاول التكاثـر داخـل البحـر فلـن يصمـد، فمثـلا إن تكاثـر قـرب الـبر فسـتكون الكميـات المنتجـة والمولـودة حـوالي *80 %* أمـا في أعـماق البحـار فسـتبقى فقـط حـوالي *30 %*. كـما يتأثـر نـوع الصوبيـا أو الشـوباي بتغـير المنـاخ، لأنـه نـوع بحـري يعيـش مـع البـرودة ويتأثـر بحـرارة الطقـس."**[49]

،

كـما يبـدوا أنّ ثـروة الإسـفنج هـي أحـد أهـم المـوارد البحريـة التـي تـضررت جـراء التغـيرات المناخيـة وارتفـاع درجـات الحـرارة.

2.الإسفنج: ثروة تاريخية تتضاءل جراء التغيرات المناخية

يقـول س. خ. : " **"تاريخيـا كان صيـد الإسـفنج مهنـة مميـزة في جرجيـس، ورثهـا أجدادنـا مـن اليونانيـين حينـما كانـت القـوارب دون محـركات.**[50]" مـن جهـة أخـرى يُـصّرح رئيـس جمعيـة البحـار التنمويـة والبيئيـة بجرجيـس بمناسـبة افتتـاح الـدورة 51 للمهرجـان الـدولي للإسـفنج بجرجيـس بقولـه: **"قطـاع الإسـفنج هـو مـوروث تقليـدي وثقـافي ورثنـاه مـن آبائنـا وقـد طورنـا هـذا القطـاع في جمعيـة البحـار التنمويـة البيئيـة بجرجيـس مـن خـلال دورات تكوينيـة تهـم تطـور القطـاع وجعلـه قطاعـا احترافيـا وليـس تقليديـا وصـار صيـادو الإسـفنج يصطـادون حتـى عـلى عمـق *60* و*70* مـترا."**[51]

تُحيـل هاتـان الشـهادتان عـلى القيمـة التاريخيـة التـي تحتلهـا هذه الـثروة بالمجتمـع الجرجيسي. فقـد عُرفـت جرجيـس بهـذا الصنـف مـن الإنتـاج البحـري لمـدّة لا تقـل عـن قـرن مـن الزمـان

49 مقابلة مباشرة مع م، ع، سبق ذكره.

50 مقابلة مباشرة مع س، خ، سبق ذكره.

51 كلمة رئيس جمعية البحار التنموية البيئية بجرجيس شمس الدين بوراسين وذلك بمناسبة افتتاح المهرجان الدولي للإسفنج بجرجيس في دورته 51.

وقد استقطبت المنطقة البحارة الأجانب المختصين في صيد الإسفنج منذ سنة 1875 مثل المالطيين والإيطاليين.[52] وعبر التاريخ اهتم البحّارة بصيد الإسفنج على سواحل جرجيس على ما يقارب 140 كلم، حيث تم تخصيص سنة 1888 حوالي 130 مركبا لصيد الإسفنج.[53]

ظلّ الإسفنج حتى بعد دولة الاستقلال بعقود أحد أهم موارد الرزق بالنسبة لبحارة جرجيس رغم تأرجح كميات الإنتاج بين الزيادة والنقصان حسب المواسم والسنوات، وفي هذا الإطار يقول ن. ب.: "**خلال المنتصف الأول من الثمانينات كنت أتحصل في الموسم الواحد على حوالي *400* كلغ من الإسفنج وقد تصل أحيانا إلى *600* كلغ، وكنا نبيع الكلغ الواحد بقيمة *22.000*د. ولكن منذ عام *1986* مرض الإسفنج وعاد مع بداية التسعينيات لكن بكميات أقل من السابق حيث أتذكر أنه في سنة *1994* تحصلت في موسم الإسفنج[54] على *285* كلغ ويباع بمبلغ قيمته *100.000*د. وفي السنوات الأخيرة أي ما بين سنوات *2012* و*2017* أتحصل على *150* كلغ في الموسم الواحد وأحيانا بين *100* و*150* كلغ. وأنا أربح *50 %* من الإنتاج أي مثلا حينما أتحصل في الموسم على *100* كلغ فإن *50* كلغ هي من أرباحي مع العِلم أن صاحب المركب هو الذي يتحمل مصاريف الأكل في رحلة الصيد.**"[55]

لئن كان هناك تطور وتراجع في كميات الإنتاج، فمن المؤكد أنّ الأسعار ترتبط هي أيضا بالإنتاجية، ويوضح ن. ب.: "**في سنة *2000* أصبح سعر الكلغ الواحد من الإسفنج ب *350.000*د ليرتفع في سنة *2019* إلى *640.000*د لينخفض في عام *2022* إلى *500.000*د الكلغ الواحد مع تراجع ملحوظ في الكميات.**"[56]

يؤدي تراجع الأسعار وهذه الثروة البحرية إلى تدهور الوضعية الاجتماعية للصيادين، يقول س. خ. " **سابقا كان الإسفنج يُلبي الحاجيات الاجتماعية والاقتصادية لصيادي الإسفنج، ولكن منذ سنة *2017* تقريبا تراجعت هذه الثروة**".[57] وحسب البيانات المتوفرة بالمندوبية الجهوية للتنمية الفلاحية بمدنين، فإن هذه الثروة قد شهدت تقلصًا ملحوظا منذ سنة 2020، ويُبيّن الجدول عدد 2 ما مدى تراجع هذا النوع البحري.

52 سالم الأبيض، مرجع سابق، ص 165.

53 عبد الرحمان الوينسي، أحد ملامح الأنشطة الاقتصادية بجرجيس: تطّور قطاع الصيد البحري 1887 - 1929 في شبه جزيرة جرجيس عبر التاريخ، جمعية المحافظة على التراث بشبه جزيرة جرجيس، 1995، ص 54.

54 يدوم موسم الاسفنج 10 أشهر في السنة والواحدة، ويتوقف البحارة عن صيده خلال شهري أفريل وماي، مقابلة مع س، خ، سبق ذكره.

55 مقابلة مباشرة أجريت يوم 9 ماي 2023 على الساعة الواحدة بعد الزوال بمقهى بيغن بجرجيس مع ن، ب صياد اسفنج بالميناء الصيدي بجرجيس.

56 مقابلة مباشرة مع ن، ب، سبق ذكره.

57 مقابلة مباشرة مع س، خ، سبق ذكره.

جدول عدد 2: تطور إنتاج الإسفنج بميناء جرجيس خلال سنوات 2019، 2020، 2021

السنة	2019	2020	2021
الإنتاج بالطن	9.5	3	0.3

المصدر: المندوبية الجهوية للتنمية الفلاحية بمدنين

يُعاني الإسفنج من ظاهرة الاحتباس الحراري لعدّة سنوات لتيأس العائلات التي كانت تعيش من تجارتها. ففي سنة 2017 وبعد ارتفاع درجات الحرارة لتصل الى 24 درجة مئوية على عمق 67 مترا مات العديد من الإسفنج.[58] يوضح ع. س.: "**يعود تراجع ثروة الإسفنج إلى التغيرات المناخية وخاصة حرارة الطقس، فالإسفنج لا يعيش في أعماق كبيرة وبالتالي لا يتحمل إطالة فترات درجات الحرارة المرتفعة، ولا يتحمل حرارة مياه البحر، وهناك أيضا التلوث والقادم أساسا من المجمع الكيمائي بقابس، ويبدوا أن هناك جراثيم أضرت به وهناك عدوى في البحر، لكن لا توجد دراسة علمية تؤكد أو تنفي هذا إلى حد الأن.**"[59]

عموما أضرت درجات الحرارة المرتفعة بالحالة الاقتصادية والاجتماعية لبحّارة الصيد الساحلي بجرجيس. وبشكل عام، "من المتوقع أنّ تغيّر المناخ سَيَتَسَبَبُ في دفع الأنواع البرية والبحرية نحو المناطق القطبية، مما يؤثر على نطاق أنواع المياه الدافئة ويقلص أنواع المياه الأكثر برودة. وستحدث أسرع التغيّرات بالنسبة لتجمعات الأسماك في أسماك السطح البحرية التي يُتوقّع أن تنتقل إلى المياه الأعمق لمقاومة ارتفاع درجات حرارة السطح."[60] في المحيطات، تشكلت ظاهرة مناخية أخرى مرتبطة بارتفاع درجات الحرارة وذوبان الجليد وهي ظاهرة ارتفاع مستوى سطح البحر.

3.خطر ارتفاع مستوى سطح البحر

لئن كان هناك 2 % فقط من عينة الدراسة كانوا قد لاحظوا تغيرات مناخية مرتبطة بارتفاع مستوى سطح البحر، إلا أنّ هذا لا يمنع من القول بأن هناك العديد من الباحثين قد أكدوا على تشكل هذه الظاهرة. وينتج ارتفاع مستوى سطح البحر من نتيجة مادية

58 Sophie- Anne Bisiaux, Marco Jonville, Des pêcheurs pris dans un étau, FTDES, Le 06/12/2019.

59 مقابلة مباشرة أجريت يوم 8 ماي 2023 على الساعة الثانية بعد الزوال بجرجيس مع ع، س إطار بالمندوبية الجهوية للتنمية الفلاحية بمدنين: قسم الصيد البحري وتربية الأسماك بجرجيس.

60 حالة الموارد السمكية وتربية الأحياء المائية في العالم عام 2010، أهم النقاط الواردة في دراسات خاّصة، ص، 117-122 ص 119.

بسيطة لارتفاع متوسط درجات الحرارة، وذوبان الكتل الجليدية. ويظل قياس ارتفاع مستوى سطح البحر أمرا معقدا نتاج ظاهرتين: ارتفاع أو انخفاض (أو حتى غرق) كتل اليابسة والتغير المطلق في مستوى سطح البحر.[61] ووفقا لخبراء الهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغير المناخ سترتفع مستويات البحار العالميّة بمعدّل ينذر بالخطر خلال الثمانين عاما القادمة. وستصل هذه الزيادة في نهاية القرن إلى ما بين 0.28 إلى 0.61 مليون وفقا للسيناريو المتفائل و0.52 إلى حوالي 1 مليون في ظلّ ظروف متشائمة لانبعاثات الغازات الدفيئة المرتفعة. ومع ذلك فإنّ درجة ارتفاع مستوى سطح البحر لا تزال تعتمد على الارتفاع وحجم التأثيرات المجمعة في المواقع المحليّة. وبالتالي فإنّ خليج قابس الواقع على ارتفاع منخفض سيكون أكثر تأثرا بارتفاع مستوى سطح البحر.[62] وتشكل (أو ستشكل) هذه الظاهرة تهديدا حقيقيًا على أرزاق الصيادين. ويُقدم هذا الجدول ملخصا لارتفاع مستوى سطح البحر بمناطق الصيد الثلاثة بتونس.

جدول عدد 3: ملخص ارتفاع مستوى سطح البحر بالسنتمتر مقارنة بالسنة المرجعية 1980 في تونس

السنة	1980	2015	2050	2100
منطقة الصيد الشمالية	-60 - -42 سم	=-2 -5 سم	= 5 – 7 سم	= 15 – 25 سم
منطقة الصيد بالوسط	-50- -45 سم	=-2 -5 سم	= 7 – 10 سم	= 15 – 25 سم
منطقة الصيد الجنوبية	-65 - -42 سم	=5 – 7 سم	= 15 سم	= 25 – 30 سم

Source : Céline Deandreis et al, Op.cit. P 82.

4.تأثير تحمض المحيطات

تكون البحار والمحيطات قلوية[63] برقم هيدروجيني pH = 8.2 بصرف النظر عن جميع أنواع التلوّث التّي من المحتمل أن تغيّر تركيبها الكيميائي وتغيّر نوعية مياهها. في البحر الأبيض المتوسّط تعدّ تقديرات التحمّض نادرة، ومع ذلك فإنّ الحقيقة هو بحر شبه مغلق تجعله حسّاسا بشكل خاص لزيادة ثاني أكسيد الكربون في الغلاف الجوّي ويشكّل واحدة من مناطق العالم الأكثر تضرّرا من التحمّض.[64]

61 André Desrochers, Op.cit. P 184, 185.

62 Céline Deandreis et al, Op.cit. P 81.

63 الماء القلوي Alcalins أقل حمضية نسبيا من ماء الشرب العادي في حين أن الرقم الهيدروجيني للمياه الطبيعية هو 7، فإن المياه القلوية لها درجة الحموضة من8 أو 9.

64 Céline Deandreis et al, Op.cit. P 83.

ترتبط الحموضة بانبعاثات ثاني أكيد الكربون لأنّ جزءا من هذا الغاز يذوب في المحيطات، ويُقدر أنّ ما يقارب من ثلث انبعاثات ثاني أكسيد الكربون الناتجة عن أنشطة البشر سينتهي بها المطاف في مياه المحيطات. فبمجرد دخوله إلى الماء يتفاعل ثاني أكسيد الكربون مع الجزئيات الأخرى وينتج بذلك أحماضًا.[65] وتؤكد سلسلة البيانات المتاحة أنّه خلال العقدين الماضيين، زادت الحموضة بنسبة 10 %. ووفقا للتوقعات سيصل الرقم الهيدروجيني إلى قيمة 7.7 في نهاية القرن، بزيادة قدرها 0.07 إلى 0.13 وحدة مقابل 0.04 وحدة تتم ملاحظتها حاليا. وتُعدّ القياسات المستمرة لدرجة الحموضة (الرقم الهيدروجيني) في تونس نادرة أو حتّى منعدمة، حيث أنّ العوامات التّي تمّ الحصول عليها للمرصد الساحلي لا تأخذ هذا المعيار في الاعتبار على الرغم من عواقبها على جودة المياه وعلى أنشطة معيّنة للصيد والتجميع.[66] وهكذا لئن كانت حموضة المحيطات ستشكل خطرا وتداعيات على الثروة البحرية والسمكية فإنّ الظروف الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الصيدي ستتراجع. ولا تحدث التغيرات في درجات الحرارة والحمل الحراري في الغلاف الجوي بمعزل عن غيرها، فالمحيطات والبحار تتفاعل مع الغلاف الجوي من خلال العمل كمخازن كيميائية ضخمة لثاني أكسيد الكربون. وتشير التقديرات إلى أنّ المحيطات تمتص نصف الزيادة الصافية في ثاني أكسيد الكربون في الغلاف الجوي لتكوين الكربونات، مما يجعلها من حيث المبدأ أقل أساسية قليلا. ويُمكن أن يختلف توازن امتصاص ثاني أكسيد الكربون في المحيطات بشكل كبير مع ارتفاع درجة حرارة الغلاف الجوي لأنّ قابلية ذوبان ثاني أكسيد الكربون تنخفض عندما ترتفع درجة حرارته. ولكن لا تعمل المحيطات كمخازن كيميائية ضخمة فحسب، بل تعمل أيضا كمخففات زمنية نظرا لقدرتها الحرارية الهائلة. وهكذا في حين أنّ التقلبات في درجة حرارة المحيط يمكن أن تؤدي على الفور وتقريبا إلى تغيرات في درجة حرارة وديناميكيات الغلاف الجوي لبضع سنوات أو حتى عقود، فإن العكس ليس صحيحا. قد يستغرق الأمر عقودا حتى تتم ترجمة التغيرات الكبيرة في الغلاف الجوي أو الاشعاع الشمسي إلى تغيرات قابلة للقياس في ديناميكيات المحيط أو درجة الحرارة.[67]

على غرار ارتفاع درجات الحرارة وارتفاع مستوى البحر وحموضة المحيطات، فإن بحارة الصيد الساحلي بجرجيس يتعرضون إلى ظواهر مناخية أخرى ومتطرفة أضرت بحالتهم الاقتصادية والاجتماعية وهي ظاهرة تصاعد العواصف البحرية.

65 André Desrochers, Op.cit. P 186.

66 Céline Deandreis et al, Op.cit. P 83.

67 André Desrochers, Op.cit. P 176.

5. تصاعد العواصف البحرية وتردي الظروف الاقتصادية لمجتمع الصيد الساحلي

تُشكّل العواصف الشديدة خطرا كبيرا على أداء نشاط الصيد. وتُبلغ نشرات الطقس الخاصّة عن عدد الفترات التي يكون فيها البحر غير عملي. وبحسب بيانات المعهد الوطني للرصد الجوّي فقد زادت نشرات الطقس الخاصّة بنسبة 30 % للقطاع الشمالي من البلاد مقابل 17 % و12 % على التوالي في المناطق الشرقية والجنوبية من تونس مقارنة بالفترة المرجعية (1980). وبالتالي فإنّ زيادة الشلل المتكرّر سيؤدي إلى انخفاض محاصيل الصيد.[68] وفي هذا الإطار تطرقنا إلى سؤال مفاده علاقة تواتر العواصف البحرية خلال السنوات الأخيرة وما مدى تأثيرها على الحالة الاقتصادية والاجتماعية لبحارة الصيد الساحلي بجرجيس.

رسم بياني عدد 9: علاقة العواصف البحرية بتراجع الظروف الاقتصادية حسب العينة المستجوبة

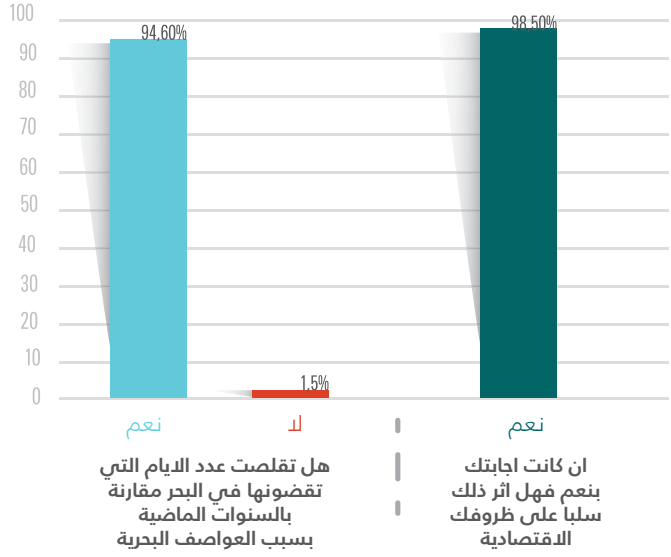

المصدر: العمل الميداني.

أثرت العواصف البحرية على مردودية البحارة في جرجيس، وقد ازدادت هذه الظاهرة خلال السنوات الأخيرة بشكل ملحوظ إلى الحد الذي لم تعد فيه خبرة البحار عبر السنوات كافية للتعرف على حالة الطقس والمناخ، يوضح ش. ب.: "**سابقا النو (الرياح القوية) معروفة، وكنا نعرف تحولات الطقس والمناخ بفضل خبرتنا الذاتية وتجربتنا المهنية، ولكن الآن لم نعد نعرف شيئا، لأنّ الضغط والتلوث خلقا أثارا سلبية، والان لا نعرف إن كانت**

68 Céline Deandreis et al, Op.cit. P 83.

هناك عاصفة قادمة أم لا، سابقا كنا من خلال شروق الشمس أو غروبها أو من خلال الهلال أو القمر نعرف كيف سيكون الطقس، والآن لولا الوسائل التكنولوجية لكانت معرفة أحوال الطقس صعبة. ولكن في الكثير من الأحيان تُخبرنا النشرة الجوية بأن الطقس سيكون طياب (طقس مؤهل للإبحار)، ولكن تأتي المفارقة حيث نرتطم بغضب المناخ وقوة وانفجار الرياح، فيبدوا أنّ العلم لا يمكنه حصر الطقس أحيانًا، وفي كل هذا تقلصت عدد أيامنا التي كنا نقضيها في البحر بسبب العواصف والرياح".[69]

بالنسبة للصيد بشباك الجر والأسماك السطحية الصغيرة والصيد الساحلي، تُجبر الرياح العاتية الصيادين على فترات تعطل متزايدة الشدّة من حيث التكرار والمدّة ومع ذلك فإنّ لهذه الظاهرة المناخية **تأثير سلبي** يؤدي إلى انخفاض في جهد الصيد (عدد الأيام في البحر/ السنة) **وتأثير إيجابي** يتجسد من خلال نوع من "الراحة البيولوجية" أو الراحة التي تسمح بتجديد الموارد السمكية وبالتالي تحسّن نوعي بشكل رئيسي في المصيد.[70]

جدير بالذكر أنه في إطار تكاثر العواصف والرياح العاتية والفجئية أحيانا، ولكي يتمكن البحار من العودة سريعا إلى اليابسة أثناء الاضطرابات الجوية أدمج 73.30 % من أفراد العينة محركات أكثر قوة سواء كان ذلك في قواربهم الخاصة أو القوارب التي يشتغلون فيها، فالمحركات الأكثر قوّة بإمكانها الإبحار سريعا والعودة إلى اليابسة في توقيت أقل من المحركات غير المتسمة بالقوة.

في ظروف يعيش فيها بحارة الصيد الساحلي بجرجيس على وقع تحولات مناخية وتراجع ملحوظ في بعض الأنواع البحرية، سيحاول البحار مقاومة تراجع ظروفه الاقتصادية والاجتماعية وذلك من خلال البحث عن أماكن صيد تتسم بتواجد الثروة السمكية والبحرية.

6. تغيير مناطق الصيد وتدهور الحالة الاقتصادية والاجتماعية

ن. ب. يمتهن مهنة صياد الإسفنج بالميناء الصيدي في جرجيس تقريبا منذ ثمانينات القرن الماضي، ومن خلال خبرته وتجاربه وسنوات عمله الطويلة، قدّم لنا بعض المناطق التي كانوا يبحرون فيها: "**إن بعض الأماكن التي نصطاد فيها سابقا بمنطقة جرجيس هي: بَنْكَاكُو- مِيسِيوَا الصغيرة : (نصطاد في هذه البحيرة ولكن بحذر خوفا من بعض البحارة الليبيين)- مِيسِيوَا الكبيرة: (لا يمكننا الاصطياد بها بعد سنة *2011* لأنها على ملك الليبيين)- البِنْك لبَرَاني: (الشمال الشرقي)- شركة دِيدُون ، فَارَا مصطفي (على جهة جربة) الخ.**"[71]

69 مقابلة مباشرة مع ش، ب، سبق ذكره.

70 Céline Deandreis et al, Op.cit. P 88.

71 مقابلة مباشرة، مع ن، ب، سبق ذكره.

في ظرفية مناخية أدت إلى تراجع بعض الأنواع البحرية والسمكية لم تعد هذه المناطق وبصفات متفاوتة تُلبي الحاجيات الاجتماعية والاقتصادية لبحارة الصيد الساحلي بجرجيس، بل أكثر من ذلك صارت الأميال القريبة من شواطئ جرجيس مناطق شبه قاحلة من الثروات البحرية، يوضح م. ع.: " **سابقا كنا نبحر على بعد بضع أميال أو حتى على قرب الشواطئ ونجد الثروة البحرية، ولكن هذا الأمر صار صعبا إن لم نقل مستحيلا خلال هذه السنوات.**" [72]

تُجبر التحولات المناخية وتراجع بعض الأنواع البحرية بحارة الصيد الساحلي على البحث عن أماكن صيد أخرى في البحار التونسية، وصار مجتمع الصيد الساحلي يُغير منطقة صيده الخاصة به كثيرا، ولكن هذا التغيير شبه الدائم ووفقا للعينة المستجوبة قد أضر بحالتهم الاقتصادية والاجتماعية والمعيشية.

رسم بياني عدد 10: تغيير منطقة الصيد وما مدى تأثيرها سلبا على الأوضاع الاقتصادية للصيادين حسب العينة المستجوبة

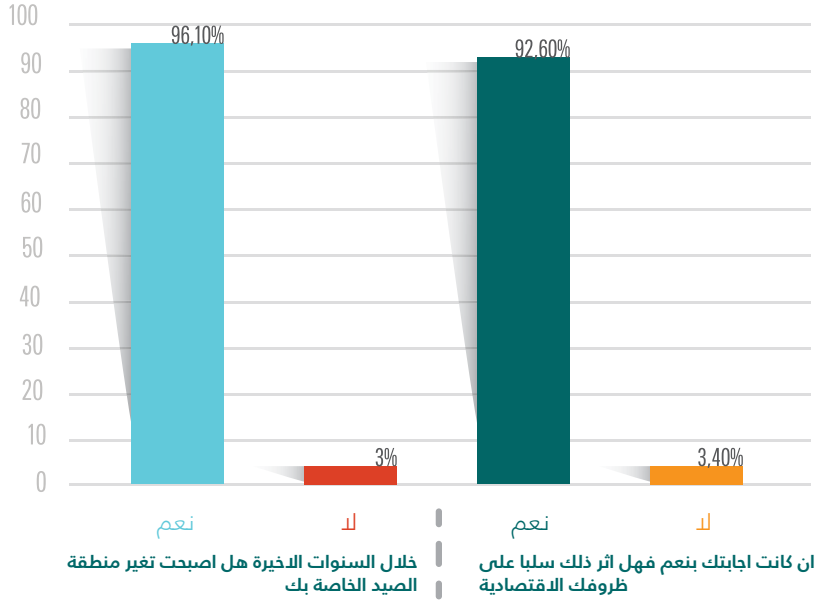

المصدر: العمل الميداني

إنّ تغيير منطقة الصيد وبصفة تكرارية يعني الإبحار كثيرا بغاية البحث عن مورد رزق في أعماق البحار التونسية، وهذا الإبحار الذي يمتد على أيام سيُلحق الضرر ببحارة الصيد الساحلي وذلك باعتبار كثرة المصاريف وغلاء البنزين، وبالتالي اللاتوازن بين التكلفة والأرباح، يُصرح ش. ب.: "**في الصيد الساحلي ومع النقص في**

72 مقابلة مباشرة مع م، ع، سبق ذكره.

العمل والإنتاج نعيش على وقع غلاء في المعدات مع استقرار في الأسعار، مثلا الجمبري منذ أربعة أو خمسة سنوات إلى حد هذه اللحظة نبيعه ب 50د للكلغ الواحد، لكن وفي كل سنة ترتفع أسعار المعدات والبنزين وبالتالي لا نحقق توازنا بين التكلفة والإنتاج."[73]

لِتَغْيِيرِ منطقة الصيد والإبحار لمسافات بعيدة كُلفة باهظة على بحارة الصيد الساحلي، كما أن هذه الفئة الأخيرة قد تصطاد أحيانا من أجل إعادة رأسمالها وأحيانا تجني الخسارة وليس الأرباح، يقول س. م.:" **لقد تقلصت عديد الأنواع البحرية والسمكية مثل الأخطبوط والشوباي وسابقا كنا نصطاد هذه الثروة البحرية على بعد 6 أميال، وكنا في ظرف ساعة من الزمن نصطاد ونعود إلى اليابسة، ولكن الآن صرنا نبتعد ونبحر على حوالي ما بين 20 و30 ميل ولا نجد هذه الأنواع البحرية أحيانا، وهذا الابتعاد سيكثف من مصاريفنا، ففي خمسة أيام من الإبحار، تصل مصاريف البنزين والاكل وغيرها بقيمة 3 آلاف دينار، مع العلم أني أحيانا أسترجع فقط تكاليفي وأحيانا أربح قليلا وأحيانا أخرى أرتطم بالخسارة"**[74]

إنّ تغير منطقة الصيد جراء التحولات المناخية والبحث عن الثروة البحرية في ظرفية تتسم بعدم التطابق بين التكلفة والإنتاج والأرباح ألقت بالضرر الاقتصادي والاجتماعي على فئة الصيد الساحلي بجرجيس. ووصلت إلى هذا الاستنتاج أيضا الباحثة آمنة بن كحلة بقولها: " أنه رغم ارتفاع إنتاجية قطاع الصيد الساحلي في بعض مناطق جرجيس بشكل ملحوظ بمرور الزمن فإن الدخل الصافي للصيادين يبقى غير كاف بل وسلبيا حسب بعض الشهادات بسبب غلاء معدات الصيد وارتفاع تكاليف المعيشة بشكل عام وهو ما يتسبب في تدهور المقدرة الشرائية للبحارة، فهذا النشاط الصيدي لم يعد مربحا لأغلب الصيادين بل باتت مردوديته معدومة وأصبحت المصاريف تفوق الإيرادات في بعض الأحيان."[75]

لئن كان هناك تراجع ملحوظ في قيمة أرباح الصيادين بقطاع الصيد الساحلي فإن هناك الأنواع الغازية والجديدة ومن أبرزها السلطعون الأزرق، فما هي تداعيات هذه الثروة البحرية على بحارة جرجيس والنساء العاملات في ورشات الدراين؟ هل يمكن لهذا النوع البحري أن يُعوض ما فقده بحارة الصيد الساحلي من قيمة ودخل اقتصادي؟

73 مقابلة مباشرة مع ش، ب، سبق ذكره.

74 مقابلة مباشرة أجريت يوم 12 ماي 2023 على الساعة التاسعة صباحا بالميناء الصيدي بجرجيس مع س، م، صاحب مركب صيد ساحلي بجرجيس.

75 آمنة بن كحلة، مرجع سابق، ص11.

III.الأنواع الغازية: السلطعون الأزرق وتداعياته على المجتمع الصيدي في جرجيس

المؤطر عدد 1: الأنواع البحرية الغازية

إنّ بعض الأنواع البحريّة الغازية على الرغم من إمكانية استغلالها، شكّلت في البداية عائقا أمام الصيد، مثل السرطانات الزرقاء والتّي كان لها تأثير سلبي على نشاط الصيد الساحلي والحرفي بعد تدهور وتقليل مصائد الأنواع المحليّة. لذلك فإنّ إحدى العواقب الرئيسيّة للاحترار العالمي على الموارد البحرية في تونس هو الانتشار الهائل للأنواع البحرية الغريبة. أدّى ارتفاع درجة حرارة مياه البحر إلى إدخال وانتشار هذه الأنواع في تونس. وفقا للجرد المحدث (سنة 2019)، يوجد في تونس 230 نوعا غير محلّي، أي ¼ من العدد العالمي للغزو البيولوجي البحري في البحر الأبيض المتوسّط. خلال القرن الماضي، كان لدى تونس 34 نوعا غريبا موزعا بشكل رئيسي في خليج قابس (22 مقابل 9 في الشمال و3 في القطاع الشرقي من البلاد). خلال سنة 1990، والتّي تُعتبر السنة المرجعيّة، تمّ تسجيل 61 نوعا. منذ ذلك الحين تضاعف هذا الرقم بعد تسارع وتيرة الإدخال وخاصّة التركيبات الناجحة لهذه الأنواع، والتّي أصبح معظمها غازيا وأثّر على النظم الأيكولوجية البحرية والموارد السمكية ونشاط الصيد في تونس. ووفقا لبعض الخبراء، فإنّ نصف الثروة البحرية في خليج قابس سيكون لها أصل غريب بحلول سنة 2050.[76]

يمكن وصف الوضع بميناء جرجيس بالحرج فعلا، حيث يزداد تدهور الوضع بسبب الاحتباس الحراري وظهور العديد من الأنواع الغازية في المتوسط على مدى السنوات العشر الماضية، بما في ذلك السلطعون الأزرق، الذي يلتهم كلّ شيء في طريقه، والذي يطلق عليه البحارة إسم داعش[77] ويخشونه كثيرا.[78]

منذ سنة 2014 تقريبا اعتبر الصيادون أن هذا السلطعون هو المشكلة، حيث يهاجم الأسماك المحتجزة في الشباك من ناحية ويسبب في تقطيع الشباك من ناحية ثانية، وقد أدّى ذلك في البداية إلى تغيرات في الممارسة ولا سيما سرعة سحب الشباك، فبدلا من ترك

76 Céline Deandreis et al, Op.cit. P 85.

77 يُطلقون عليه بداعش نظرا لمخالبه التي تمزق شباك الصيد، وباعتباره أيضا نوعا بحريا يلتهم عديد الأنواع البحرية ألأخرى، وبالتالي يساهم في تعطيل عملية الصيد والربح وأصبح أحد علامات الخسارة، وبرز هذا النوع البحري في البحار التونسية في فترة تشكل تنظيم داعش الإرهابي (الدولة الإسلامية في العراق والشام) بعد سنة 2011. وهكذا يعتبر البحارة أن داعش التنظيمي والسلطعون الأزرق هما دلالتان للإرهاب أحدها إرهاب على الأرض باعتباره قاتلا للروح البشرية والآخر إرهاب البحرية باعتباره قاتلا للأنواع البحرية وممزقا لشباك الصيد.

78 Zoé Debussy, Raphael Cuneo, « Ici, tout est mort » : en Tunisie, les pêcheurs contraints à l'exil, Reporterre : Le média de l'écologie, Le 31 Mars 2023 à 9h34.

الشباك بين عشية وضحاها يقوم الصيادون برفع شباكهم بعد نصف ساعة من الصيد وهو وقت كافٍ لصيد عدد قليل من الأسماك ووقت قصير جدًا لوصول السرطانات. ومنذ سنة 2015 وصل مستثمر أجنبي إلى تونس واقترح استهداف السلطعون عن طريق الدرايين، ثم يتم جمعها وإحضارها إلى المصنع لتجميدها.[79] ويتم تسويق هذا المنتج حاليا في ثلاثة قارات (إفريقيا، آسيا وأوروبا) وفي 24 دولة مع السوق الآسيوي الذي يستوعب 80 % من الكميّات المصدّرة.[80] ومن بين أهم ثلاثة بلدان آسوية هي تايلاندا، كوريا، الفيليبين.[81] وهكذا تطورت كميات الإنتاج والقيمة والصادرات لهذا السلطعون ويوضح الجدول عدد 4 تطور إنتاج السلطعون في البلاد التونسية.

جدول عدد 4: تطوّر الصادرات من حيث الكميّة والقيمة من السرطانات الزرقاء

السنة	2015	2016	2017	2018	2019 (10 أشهر)
الصادرات بالطن	38	141	770	3355	3549
قيمة الصادرات بالمليون دينار	0.2	0.6	5،4	25	35،5

Source : Céline Deandreis et al, Op.cit. P 90.

في الميناء الصيدي بجرجيس ارتفعت كميات إنتاج السلطعون الأزرق من 6000 طن سنة 2020 إلى 9000 طن سنة 2021.[82] ولكن هل يعني التطور تحسّن الظروف الاقتصادية لمجتمع الصيد الساحلي بجرجيس؟

في البداية، وفي ظرفية اتسمت بنقص المصائد صار صيد السلطعون الأزرق بمثابة «الصيد الإجباري» لبحارة الصيد الساحلي، يوضح م. ع. هذه الفكرة:«**داعش هو دخيل على بحر المتوسط، سابقا كان يتواجد في جنوب آسيا، وبحكم تغير المناخ أجبر هذا النوع على الهجرة إلى بحر العرب وبعدها البحر الأحمر ومن ثم معبر سيناء وبعدها المتوسط، واليوم أصبح كثيرا في البحر الأبيض المتوسط، طبيعته هو أن يتكاثر كثيرا. وفي سياق نقص المصائد جعل الكثير من الصيادين يصطادون داعش وصار ملجأ لهم ومصدر عيشهم.**»[83]

79 Hervé Bru, Marouane Chikhaoui, Op.cit. P 11.

80 Céline Deandreis et autres, Op.cit. P 90.

81 Hervé Bru, Marouane Chikhaoui, Op.cit. P 11.

82 المندوبية الجهوية للتنمية الفلاحية بمدنين.

83 مقابلة مباشرة، مع م، ع، سبق ذكره.

حتى يحقق بحارة جرجيس توازنهم الاقتصادي والمعيشي، وحتى يعوضوا النقص الحاد في مصائد الأسماك، أصبح العديد من البحارة يصطادون السلطعون الأزرق. ورغم انخراطهم في مصائد هذا النوع البحري إلا أن بحارة جرجيس كغيرهم من بحارة السواحل التونسية يُعانون من تقلص الأسعار، ووفقا لبعض البحارة فإنّ هذا السلطعون الأزرق لا يجني العديد من الأرباح حيث يتم تسعير 1 كغ بدينارين فقط، أي أقل بخمسة عشر مرة من سمك القاروص والدوراد.[84] ومن جهة أخرى لا تتوقف المعاناة عند تحديد الأسعار، بل يعاني بحارة الصيد الساحلي أيضا من قهر المؤسسات والمعامل التجارية، ويقول م. ع. في هذا الإطار: «**يباع السلطعون الأزرق في السعودية بما يقارب بين *17* و*22* دينارا تونسيا للكلغ الواحد، والمعامل التونسية هنا تشتريه على *2700* مليم الكلغ الواحد. وحينما يبيع البحارة على سبيل المثال طُنًا واحدًا من هذا السلطعون لأحد المعامل التجارية، فإن هذا الأخير سيقوم وفي البداية بتقليص *10 %* من تسعيرة البحّار، فالمعامل يشترون طنا واقعيا ولكن ورقيا وماليا فهم يشترون فقط *900* كلغ باعتبار أن *10 %* هي معلوم المكاس (وهي الضريبة التي يأخذها المكاس[85] العشار)، وعلى غرار هذا فإن المعمل لا يقبل شراء الأحجام الصغيرة لهذا السلطعون وبالتالي إما يرجعه للبحار أو يقوم بدحضه من الميزان ولا يقوم بإرجاعه للبحار أيضا، فالمعامل التجارية يزن الكميات وتشتري ما يخطر بباله وتُسجل على الفاتورة التجارية ما يحلوا لها... وبالمقابل صار بحارة الصيد الساحلي يرددون عبارات مفادها: هل سنظل نصطاد من أجل المعامل التجارية؟؟؟**»

علاوة على قهر المعامل التجارية، ولئن كان البحارة يبيعون الكلغ الواحد ب دينارين أو 2700 مليم فإن هناك مبالغ معينة يدفعها العديد من البحارة الذين لا يمتلكون الدراين[86] للباعة الوسطاء بين البحار والمعامل[87]، يوضح أ. ب. هذه الفكرة بقوله:» **في جانفي *2023* اشتريت *100* درينة بقيمة *5* آلاف دينار، أي أنّ الدرينة الواحدة ب *50* دينار، وأنا أقوم بكرائها لبعض البحارة الذين لا يمكنهم أو الذين لا يشترون الدراين، وتتمثل أرباحي معهم في أخذ *500* مليم على الكلغ الواحد من إنتاجهم ومبيعاتهم، وهكذا لئن كان البحار وعلى سبيل المثال سيبيع للمعمل الكلغ الواحد ب دينارين وسبعة مئة مليم فسيتحصل فقط على دينارين ومئتي مليم.**»[88]

84 Zoé Debussy, Raphael Cuneo, Op.cit.

85 المكاس هو الشخص الذي يقوم على باب السوق أو يطوف بالتجار والبحارة الموجودين بالسوق ويلزمهم بدفع مبلغ معيّن من المال مقابل عرض سلعتهم بهذا السوق، مع العلم أن هذا السوق يكون قد اكتراه من البلدية أو الدولة.

86 وسيلة من وسائل الصيد تُصنع بالحديد والخيط، أنظر الصورة رقم 1 ص41.

87 ما يُعبر عنه في اللهجة التونسية ب القشار.

88 مقابلة مباشرة أجريت يوم 8 ماي 2023 على الساعة الثانية بعد الزوال بالميناء الصيدي بجرجيس مع أ، ب، صاحب مركب صيد ساحلي ووسيط بين المعامل والبحارة.

إن هـذه التكاليـف الباهظـة أجـبرت البعـض مـن بحـارة الصيـد السـاحلي عـلى عـدم اصطيـاد السـلطعون الأزرق، وهـذا هـو حـال س. م. الـذي يقـول: « **أنـا صاحـب مركـب صيـد سـاحلي ولم اشـتغل في صيـد السـلطعون الأزرق لأن تكلفتـه كثـيرة، فسـعر الدرينـة الواحـدة ب *50* دينـار، و*100* درينـة ب *5* آلاف دينـار، وتكلفـة الخيـوط بألـف دينـار، ومـن أجـل اصطيـاد هـذا السـلطعون فأنـا أحتـاج إلى *400* درينـة، وفي الحقيقـة أنـا لا أمتلـك كل هـذه المصاريـف**».[89]

بشـكل عـام لم يلـب السـلطعون الأزرق الطموحـات والحاجيـات الاقتصاديـة والاجتماعيـة لبحـارة الصيـد السـاحلي، فرغـم ارتفـاع الكميـات إلا أنّ تكاليفـه باهظـة وأسـعار بيعـه رخيصـة، فهـذا النـوع الغـازي لم ينتـج سـوى اللاعدالـة بـين التكلفـة والأربـاح. ومـن جهـة أخـرى شـكل هـذا السـلطعون أحـد مـوارد الـرزق للنسـاء العامـلات في الفلاحـة أو في ورش صنـع الدرايـن.

VI.ورشات صنع الدرينة ومعاناة النساء

في سـنة 2020، وعـن طريـق إدارة الصيـد البحـري بجرجيـس، قدمت منظمـة Nemo Kantara[90] مسـاعدات لفائـدة البعـض مـن العامليـن أو مـن لديهـم فكـرة مشـاريع في القطـاع الفلاحـي، وفي هـذا الاطـار تقدمـت عائلـة م. ش. بمـشروع في تغليـف وصنـع الدرايـن بتكلفـة تقـدر بحـوالي 16- 17 ألـف دينـار، وإذا كانـت تكلفـة المـشروع أقـل مـن 26 ألـف دينـار وبعـد أن تتـم الموافقـة عليـه فـإن صاحـب المـشروع يدفـع فقـط 10 % مـن مجمـوع التكاليـف.[91]

م. ش. شـابة مـن منطقـة بوغـرارة مـن ولايـة مدنـين، صاحبـة ورشـة صنـع وتغليـف الدرايـن لصيـد السـلطعون الأزرق، ينطلـق عملهـا بـين السـاعة الخامسـة والسادسـة صباحـا، وهـذا العمـل لا توقيـت محـددا لـه، فأحيانـا تقـوم بأخـذ قسـط مـن الراحـة عـلى السـاعة الرابعـة مسـاء وتسـتأنف بعـد ذلـك عملهـا في منزلهـا إلى حـدود السـاعة العـاشرة ليـلا.[92]

89 مقابلة مباشرة، مع س، م سبق ذكره.

90 هي منظمة مصدر تمويلها التعاون الإيطالي، وأصدرت مبادرة لدعم التنمية المستدامة للمجتمعات الساحلية في مدنين وقابس، وإنشاء نظام تخطيط للتنمية التشاركية والمتكاملة للمناطق الساحلية التي ستكون بمثابة إطار للمبادرات والاجراءات المستقبلية في خمس ولايات (بنزرت، قابس، مدنين، نابل وصفاقس). أنظر الموقع: http://tinyurl.com/3byws4mf

91 مقابلة مباشرة، أجريت يوم 11 ماي 2023 على الساعة 11 صباحا بمنطقة بوغرارة مع م، ش، صاحبة ورشة لصنع وتغليف الدراين ببوغرارة.

92 مقابلة مباشرة مع م، ش، سبق ذكره.

الصورة عدد 1: ورشة لامعة لصنع وتغليف الدراين ببوغرارة

المصدر: العمل الميداني

في «ورشة لامعة» هناك تقريبا حوالي 14 امرأة تشتغل في صنع وتغليف وتصليح (ترقيع) الدراين، ورغم أن صاحبة المشروع تكرر في كلمة «الحمد لله» كما أن والدها يؤكد على أن هذا المشروع يحقق أرباحا إلا أن الأرقام والبيانات تؤكد على فجوة واضحة بين العناء والأرباح.

يقتني عديد البحارة سواء كانوا من جرجيس أو من قابس الدراين من «ورشة لامعة»، وتؤكد م. ش. على أن العدد الجملي لصناعة الدراين في اليوم الواحد قد يصل أحيانا إلى 50 و70 درينة (حسب الطلب). وتباع الدرينة الواحدة ب 42 دينار أما المربوح فلا يتجاوز 7 دينارات على اعتبار أن صاحب الورشة هو الذي يقتني المعدات مثل الحديد والشبكة والخيط والكياسة، أما إذا تكفّل البحار باقتناء المعدات فإن النسوة يصنعنها ب 7 دينارات أيضا، وأما عن تصليح (ترقيع) الدرينة فهو بقيمة 6 دنانير.

الكد والعناء من الفجر إلى الليل ولكن ما الحصيلة؟

تكشف الأرقام والمعطيات أعلاه عن فجوة واضحة بين الأتعاب والعناء وبين المحاصيل والأرباح، ف م. ش. التي تستيقظ فجرا ولا ترى النوم إلا ليلا، والتي تعيش في منطقة تتسم بترد في الخدمات العمومية وشبه غياب للمرافق الثقافية والترفيهية تحقق في آخر الشهر مبلغا وأرباحا ما بين 600 – 700 دينار.[93] ومقارنة بفترة العمل والأرباح، فإن النسوة يعانين من مشقة العمل. إضافة إلى ذلك تؤكد م. ش. على انسحاب الدولة وعدم تدخلها بغاية تقديم يد المساعدة وتطوير مثل هذه

93 مقابلة مباشرة مع م، ش، سبق ذكره.

المشاريع.[94] وهكذا يمكن القول أن النساء هن الأكثر فئات عرضة وضحايا للتغيرات المناخية الواقعة في منطقتنا المتوسطية والجنوبية.

خاتمة

تعيش منطقتنا المتوسطية على وقع تغيرات مناخية طبيعية وأخرى مرتبطة بالنشاط البشري والتي لها علاقة بانبعاث الغازات الدفيئة من أهمها ثاني أكسيد الكربون والمثان. وفي هذا السياق تعاني البلاد التونسية من التغيرات المناخية مثل موجات حر حادة[95] ومتكررة وتقلص في الأمطار وتحمض في المحيطات وتصاعد في العواصف البحرية وارتفاع في مستوى سطح البحر، وهي ظواهر لها آثار سلبية على المزارعين والفلاحين والصيادين.

من خلال الحالة البحثية والمعالجة الميدانية يتبين أثر التغيرات المناخية على مجتمع الصيد الساحلي والحرفي بجرجيس وبوغرارة. فقد تقلّصت بعض المحاصيل البحرية والسمكية مثل الإسفنج والأخطبوط في سياق لم يعد بإمكان الصيادين الإبحار بصفة منتظمة جراء تواتر العواصف البحرية والتقلبات و شدة الرياح العاتية، وتأتي هذه التغيرات في ظرفية ارتفعت فيها أسعار المعدات والموارد والمستلزمات الصيْدية مع غزو بعض الأنواع البحرية لمنطقتنا المتوسطية لتكون الحصيلة تراجع الظروف الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الصيدي.

أمام هذه التحديات المناخية العالمية والمعاصرة، وفي ظروف لم يعد فيها القطاع الفلاحي والصيدي يلبي الحاجيات الاقتصادية والاجتماعية في البلاد التونسية وفي كل دول الجنوب خاصة عند صغار الصيادين والفلاحين والمزارعين تعالت الأصوات السياسية الرسمية لدول الشمال مؤكدة على إيجاد حلول صديقة للبيئة تحدّ من ظاهرة تطرّف المناخ، ولكن الوقائع تبيّن عكس هذا. فعلى الرغم من الخطابات الرائعة، لا توجد دولة حاليا في طريقها للتخلص من اعتمادها على الوقود الأحفوري على المدى القصير أو المتوسط. وفي السياق نفسه شجعت الحكومات غير الراغبة في تغيير هذا النظام الاقتصادي القائم على استعمال الوقود الأحفوري على إنشاء روافع اقتصادية مثل سوق الكربون، والتي تنطوي على معاملات يتم تنفيذها بِحُرية من قِبل الممولين، من خلال تبادل الكربون. ولكن هذه المقاربة مثال على تطبيقات الليبرالية الكلاسيكية على قضية المناخ: «نترك الأسواق تقوم بالعمل، حتى ولو ساعدناها قليلا».[96]

94 مقابلة مباشرة مع م، ش، سبق ذكره.

95 على سبيل المثال والتوضيح وبحسب بيانات المعهد الوطني للرصد الجوي فإن شهر جويلية 2023 هو الأكثر حرارة على الإطلاق بالبلاد التونسية منذ عام 1950 حيث تجاوز معّدل متوسط درجات الحرارة المسجلة (27 محطة رئيسية) المعدل المرجعي (1991 -2020) مع فارق هام بلغ+ 4 درجات. وعلى المستوى العالمي ووفقا لبيانات الوكالة الأوروبية COPERNICUS فإن شهر جويلية 2023 يعتبر الأكثر حرارة على الإطلاق منذ سنة 1950.

96 André Desrochers, Op.cit. P 169, 171.

بنـاء عـلى مـا تقـدم يمكـن القـول بصفـة مكثفـة ومختـصرة أنّ الرأسـمالية العالميـة وخيـار حـرق الوقـود الأحفـوري وتطبيـق مقاربـات اقتصاديـة نيوليبراليـة تنتـصر للرأسـمال وللمسـتثمرين الكبـار، في سـياق عجـزت فيـه دول الجنـوب مثـل تونـس عـلى خلـق حلـول بديلـة لمواجهـة الأزمـة المناخيـة، وفي ظرفيـة لم تضـع فيهـا الحكومـات المتعاقبـة والعديـد مـن الأحـزاب والنخـب السياسـية المحليـة ملـف التغـيرات المناخيـة ضمـن أولويـات جـدول أعمالهـا وفي برامجهـا الانتخابيـة، هـي عوامـل تهـدد أرزاق الصيادين وتسـاهم في إنتـاج آثـار سـلبية وكارثيـة أهمهـا هشاشـة ظروفهـم المعيشـية الاقتصاديـة والاجتماعيـة والصحيـة والحياتيـة.

الفصل الثاني:
الأبعاد البيئية وتدهور الظروف الاقتصادية والاجتماعية في مجتمع الصيد الساحلي والحرفي

مقدمة

منذ الثورة الصناعية الأولى (1750) ومكننة الآلة لم تكن القضية البيئية محل اهتمامات الساسة. ولكن منذ الإطاحة بالمعسكر السوفياتي وتوسع النيوليبرالية المعاصرة أصبحت الكارثة البيئية أحد أبرز أعمال الدول والحكومات والمنظمات سواء كانت حكومية أو غير حكومية. وتشكلت في هذا السياق حركات احتجاجية عابرة للقومية تكافح ضد اللاعدالة البيئية. وهكذا فإنّ موضوع البيئة لا يجب التفكير فيه فقط من الزاوية التقنية والمنظور البيئي. ويفترض عالم الاجتماع الفرنسي **آلان توران** «أن الشكل الجديد من الوعي الطبقي، هو هذا الشعور بالاستغلال، الذي يمكن قراءته في شكل حكاية جديدة، وهي الكارثة البيئيّة. وأزمة المناخ التي تهددنا بشكل خطير يجب التفكير فيها من منظور بيئي بالطبع، ولكن أيضا من الناحية الاجتماعية والاقتصادية[97]». لذلك سيعالج هذا الفصل أثر اللاعدالة البيئية على الظروف السوسيو- اقتصادية في المجتمع الصيدي.

فضلا عن النفايات المنزلية والبلاستيكية، تُعاني شواطئ جرجيس وبوغرارة من أزمة النفايات الوطنية الصادرة عن المجمع الكيميائي التونسي والديوان الوطني للتطهير والشركة العامة للملاحة التونسية في جرجيس. علاوة على ذلك فإنّ مجتمع الصيد الساحلي والحرفي يعاني من قهر الصيد العشوائي، فهذا النوع من الصيد لا يحترم الراحة البيولوجية ويُسهم في تدمير قاع البحر والنظم الايكولوجية. ومن هذا المنظور فإن التوزان البيئي المكسور سيوسع الفجوة بين طبقيتين متضادتيْن: بين فقراء الصيد (الساحلي والحرفي) وإرهاب الصيد (الصيد بالكيس والجر والأضواء).

97 Alain Touraine, La société de communication et des acteurs, Editions du Seuil, Paris, 2021. P 65, 66.

في هـذا الإطـار يبحـث هـذا الفصـل مـن الدراسـة عـن علاقـة هـدر النظـم البيئيـة بتراجـع الـثروة البحريـة والسـمكية وبالتـالي هشاشـة الصيادين وإعـادة إنتـاج التفقـير، فـأي تأثـيرات سـلبية وكارثيـة يعيشـها المجتمـع الصيـدي جـراء الأزمـة البيئيـة التـي أنتجتهـا الـشركات الوطنيـة؟ وكيـف نفـسر هشاشـة الصيادين وعنائهـم جـراء الصيـد الجائـر والعشـوائي وغـير القانـوني؟ وأي قصـص إنسـانية ودراماتيكيـة تتحملهـا النسـاء الفلاحـات جـراء اللاعدالـة البيئيـة والممارسـات الزبونيـة؟

I.حينما يتحول البحر إلى مكب للنفايات الوطنية

تغـزو النفايـات البلاسـتيكيّة شـواطئ جرجيـس وتتكـدس في المناطـق التـي يعمل فيهـا الصيادون. في ظـلّ عـدم وجـود نظـام تشـغيلي لجمـع النفايـات المنزليـة والوعـي بالمخاطـر المصاحبـة لتلـوّث الميـاه بالبلاسـتيك، تتراكـم النفايـات في قنـوات المدينـة قبـل أن تتشـتت في البحـر لدرجـة أنّ البحّـارة يطالبـون بحظـر الأكيـاس البلاسـتيكيّة.[98] بالإضافـة إلى مشـكلة النفايـات المنزليـة، هنـاك مشـكلة النفايـات الصناعيـة.

1.الكوتيزال: سردية استعمارية وتدمير للثروة البحرية

يشـير أغلـب البحّـارة إلى «سـبخة الملـح»، (مسـتنقع الملـح) عـلى سـاحل جرجيـس. وتعـود هـذه الفضـلات إلى الشركـة العامـة للملاحـة التونسـية «كوتـوزال» COTUSAL، وهـي بقايـا اسـتعمارية تسـتغل المـوارد المالحـة لتونـس، في إطـار امتيـازات مفيـدة لم تتـم إعـادة التفـاوض بشـأنها منـذ الاسـتقلال.[99]

أدت عمليـات اسـتغلال الملـح وتوسـيع أحـواض تجميـع ميـاه البحـر وغيـاب الرقابـة الرسـمية إلى هـلاك عـشرات الزياتـين عـلى ضفـاف السـبخة وفقـدان التربـة لخصوبتهـا. ونفـس المشـكلة يُعـاني منهـا الصيـادون نظـرا لعمليـات تعبئـة الأحـواض غـير المدروسـة والتـي تـؤدي إلى جـرف الأسـماك وإنهـاك الـثروة السـمكية في سـياق قامـت فيـه شركـة الكوتيـزال بتوسـيع القنـاة الرابطـة بـين سـبخة التجفيـف والشـاطئ.[100] وفي هـذا الاطـار يقـول م. ع.: « **سـاهمت الملاحـة في تلـوث بحـيرات ومـراع صغـيرة**».[101]

بالفكـرة نفسـها يؤكـد ش. ب. عـلى أن شركـة الكوتيـزال هـي إحـدى المؤسسـات الصناعيـة التـي تُسـهم في تلـوث المتوسـط وذلـك بقولـه: « **سـاهمت شركـة الكوتيـزال المنتصبـة في جرجيـس منـذ عقديـن مـن الزمـن تقريبـا في تلـوث البحـر**».[102]

98 Sophie- Anne Bisiaux, Marco Jonville, Op.cit.

99 Ibid.

100 محمد سميح الباجي، ملح جرجيس: الذهب الأبيض المسلوب، موقع نواة، 05 فيفري 2015. تاريخ زيارة الموقع: 25 جويلية 2023 على الساعة 12:02 http://tinyurl.com/ycxsm964

101 مقابلة مباشرة مع م، ع، سبق ذكره.

102 مقابلة مباشرة مع ش، ب، سبق ذكره.

تأسست الشركة العامة للملاحات التونسية في 3 أكتوبر 1949، أما ملاحة جرجيس التابعة للشركة نفسها فقد تأسست سنة 1993، وباعتبار أن معدل أعمار بحّارة الصيد الساحلي بجرجيس مرتفع إلى حدّ ما، فإن هذا الأمر يُسهم في معرفة ما إذا كانت هذه الشركة قد ساهمت في تراجع الثروة البحرية والسمكية، فالبحارة ومن خلال عملهم لعقود ومن خلال قصص الأسلاف يعرفون ما إذا كان هناك تراجع في الثروة السمكية بعد انتصاب شركة الملاحة أم لا.

رسم بياني عدد 11: مساهمة الكوتيزال في تلوث البحر وتراجع المحاصيل البحرية حسب العينة المستجوبة

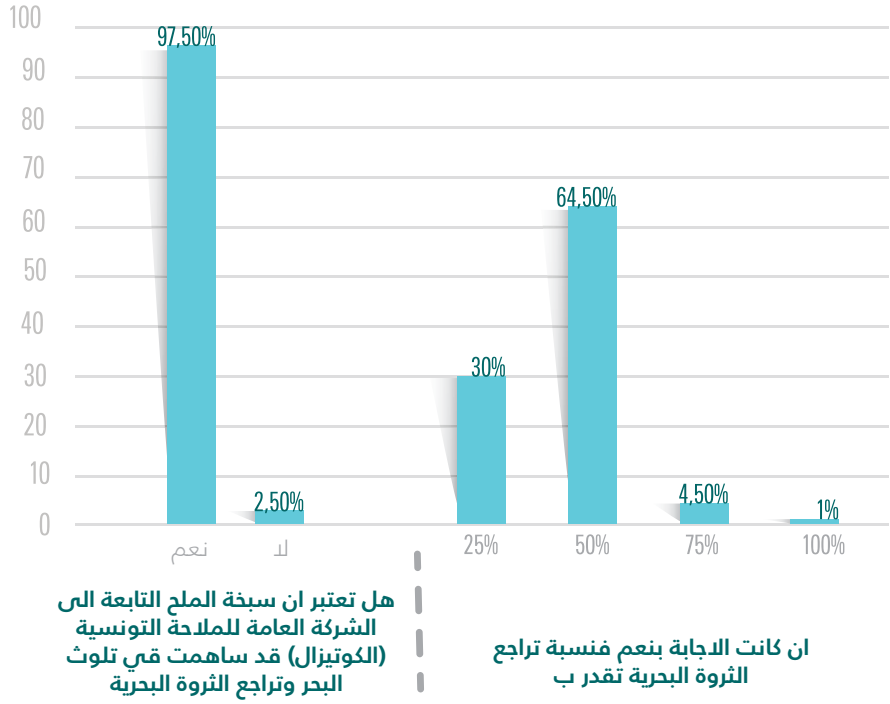

المصدر: العمل الميداني

يُقر أغلب البحارة بأن شركة الكوتيزال هي إحدى المؤسسات التي ساهمت في تلوث البحر وتراجع المحاصيل البحرية، فهذه الشركة تعمل على تدمير المشهد الايكولوجي لا من خلال النفايات فقط وإنما أيضا من خلال سحبها للأسماك الصغيرة أثناء عمليات استخراج واستغلال الملح، يُوضح ه. م.: "**تستعمل شركة الكوتزيزال قنوات سحبٍ لاستخراج الملح، لكنّها وأثناء عملية السحب تَحْصُل على مِلْحِها وعلى كميات واسعة من الأسماك الصغيرة**".[103]

103 مقابلة مباشرة أجريت يوم 10 ماي 2023 على الساعة 11:32 بمدرسة الصيد البحري بجرجيس، مع ه. م، مكّون معّدات وتقنيات الصيد منذ سنة 1976 بمدرسة الصيد البحري بجرجيس.

شركة الكوتيزال ليست فقط بالمؤسسة الملوثة وإنما هي أيضا مؤسسة تتهرب من دفع الضريبة. فمن خلال وثيقة أرسلها وزير المالية إلى المدير العام لوكالة حماية وتهيئة الشريط الساحلي في شهر ماي من سنة 2013 يتبيّن أنّ شركة الكوتيزال تتهرب من دفع الاتاوة، فما بين سنوات 2007 و2012 بلغت قيمة تهربها الضريبي تجاه الدولة التونسية 5.7 مليون دينار.[104]

رغم أن شركات الملاحة هي إحدى علامات بقايا الاستعمار ورمز للتلوث البيئي والهروب الضريبي إلا أن الحكومات المتعاقبة ما بعد سنة 2011 لم تستطع وقف هذا التدمير والاستغلال المفرط.» ففي 06 ديسمبر 2015، أعلن وزير الصناعة زكريّا حمد نية وقف التعامل مع الشركة الفرنسية الكوتيزال المستغلة للملح التونسي، ولكن في أقل من 24 ساعة تغيّر موقف الوزير ليعود للحديث عن مراجعة أو تعديل وليس بالضرورة الإلغاء.»[105] كما لا تلعب هذه المؤسسة القائمة إلى يومنا هذا أي دور إيجابي في الجهة في نطاق تحملها للمسؤولية الاجتماعية والاقتصادية المحليّة.

2.المجمع الكيميائي: حرب الرأسمال على الفقراء

لئن كان تأسيس الشركات المنجمية يعود إلى الفترة الاستعمارية الفرنسية على الأراضي التونسية فإن تأسيس المجمع الكيميائي يعود إلى مطلع سبعينيات القرن الماضي بغنوش بالقرب من خليج قابس في سياق تبنّت فيه الدولة التونسية نموذجا اقتصاديا ينتصر إلى مبادئ اقتصاد السوق جاعلة من الأعراف شريكا اقتصاديا وفعليًّا للدولة.[106] وتتمثل الوظيفة الأساسية لهذه الشركة في تحويل الفسفاط إلى حامض الفوسفوريك، ثمّ إلى سماد.[107] كما يؤدي نشاط المجمع الكيميائي إلى تصريف مادة الفوسفوجيبس.

ووفقا لدراسة أنجزها أساتذة باحثون بالمدرسة الوطنية للمهندسين بصفاقس حول الآثار البيئية لتخزين الفوسفوجيبس بصفاقس، تبيّن لهم أنّ هذه المادة تُشكل مصدرًا للتلوث من خلال تركيبتها التي تحتوي على مواد سامة وعناصر باعثة للإشعاعات.[108] وحول

104 محمد سميح الباجي، الشركة العامة للملاحات التونسية (كوتيزال): 5.7 مليون دينار قيمة التهرب الضريبي تُكافئ بامتياز استغلال جديد»، موقع نواة، تُكافئ بامتياز استغلال جديد"، موقع نواة، 14 ماي 2014، تاريخ زيارة الموقع: 24 جويلية 2023 على الساعة 11:12 http://tinyurl.com/yfmumtmz

105 ملف: كوتوزال و استغلال الملح التونسي، القصة كاملة. http://tinyurl.com/2zrb75xs

106 المولدي قسّومي، المنظّمة النقابية لأرباب العمل التونسيين: الأطوار والأدوار، تقديم: الهادي التيميومي، دار نقوش عربية، تونس، 2018، ص 125.

107 Zoé Debussy, Raphael Cuneo, Op.cit.

108 ياسين النابلي، مصنع السّياب بصفاقس: التلوّث ولعبة المصالح، موقع نواة، 23 فيفري 2016، تاريخ زيارة الموقع: 4 جويلية 2023 على الساعة 10:23. http://tinyurl.com/mparxd7x

المحيطات، ووفقا لدراسة أجرتها المفوضية الأوروبية سنة 2018،[109] فإنّ نشاط المجمع الكيميائي يؤدي كل سنة إلى تصريف 5 ملايين طن من الفوسفوجبس في شكل طين جبسي، وهي نفايات سامة محملة بالمعادن الثقيلة ويتم صرفها في البحر المتوسط بمعدل جهنمي يصل إلى 40.000 متر مكعب في اليوم. وفي هذا الإطار يتفق بحّارة جرجيس على أنّ المجمع الكيميائي هو إحدى المؤسسات الصناعية الكبرى التي تُساهم في تلوث البحر وتدمير الأسماك.

الرسم البياني عدد 12: مساهمة المجمع الكيميائي في تلوث البحر وتراجع المحاصيل البحرية وفقا لعينة البحث

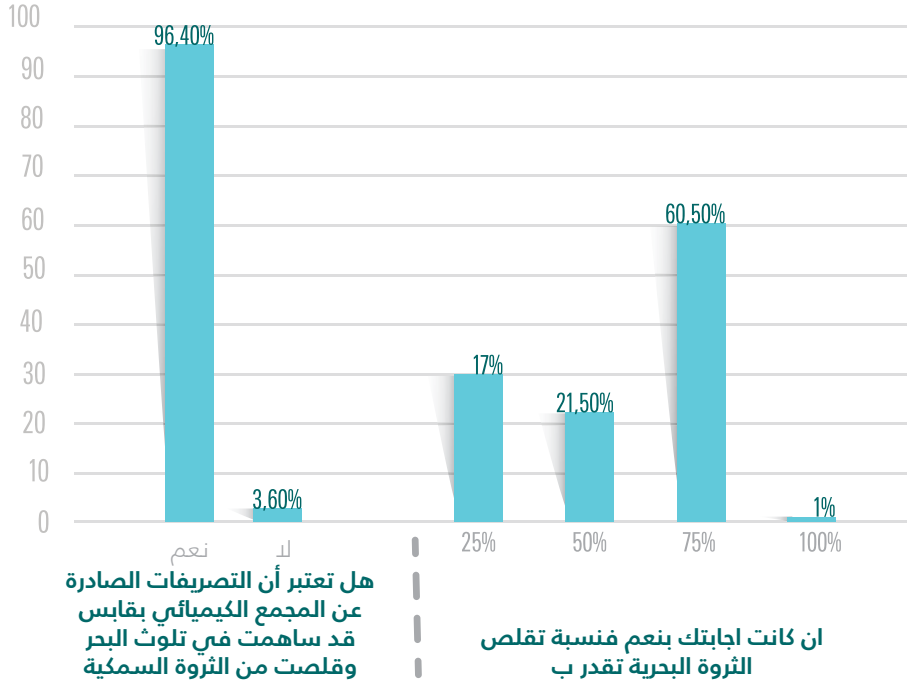

المصدر: العمل الميداني

فعلا، إنّ تصريف النفايات السامة في البحر أمر لا يساهم فقط في تلوث البحر بولاية قابس، بل تمتد وتصل هذه النفايات إلى مشارف جرجيس وشواطئ بوغرارة وجزيرة جربة، يوضح م. ع.: "**حينما نرى تقلص المراعي (الأحواض الطبيعية) فذلك إشارة إلى وجود التلوث البيئي، فالتلوث الذي أصاب خليج قابس يصل إلى مشارف جرجيس وجربة وبوغرارة**".[110]

109 Commission Européenne, Etude d'impact de la pollution industrielle sur l'économie de la région de Gabés, 30 Mars 2018.

110 مقابلة مباشرة مع م. ع، سبق ذكره.

يربـط البحـارة تراجـع بعـض الأنـواع السـمكية وثـروة الإسـفنج بالأبعـاد البيئيـة غـير العادلـة، كـما يؤكـد ذلـك س. خ.: "**لقـد أضر المجمـع الكيميـائي بصفاقـس (مصنـع السـياب) وفوسـوجيبس قابـس بـثروة الإسـفنج، فسـابقا كانـت تتواجـد هـذه الـثروة وبكـثرة في خليـج قابـس وفي الصخـيرة واليـوم نرصـد تقلصـا ملحوظـا لهـذا النـوع البحـري، فالإسـفنج يُحـب نظافـة المحيـط.**"[111]

عمومـا، أضر المجمـع الكيميـائي بقابـس بالـثروة البحريـة وصـار أحـد علامـات الظلـم والهيمنـة لبحـارة الصيـد السـاحلي بجرجيـس، وفي هـذا الإطـار تـأتي شـهادة ش. ب.: «**لقـد أضر التلـوث بفقـراء الصيـد (أي الصيـد السـاحلي)، فقـد أثـر الفوسـفوجيبس سـلبًا عـلى كلّ خليـج قابـس، واليـوم أصبحنـا نـرى تشـوُّهات في الأسـماك، ولم نعـد نـرى سـباحة الحيتـان في ميـاه البحـر**».[112]

ألحـق المجمـع الكيميـائي بالـضرر لا عـلى بحّـارة قابـس فقـط وإنمـا حتـى عـلى بحّـارة جرجيـس ولكـن بينـما يتلقـى بعـض الصيـادون في قابـس تعويضـات بسـبب التلـوّث ويأتـون للصيـد عـلى سـواحل جرجيـس فـإنّ بحّـارة جرجيـس لا يحصلـون عـلى شيء رغـم تضررهـم.[113] وهكـذا لا تلعـب هـذه المؤسسـة أدوارا اجتماعيـة واقتصاديـة محليّـة، بـل هـي فقـط رمـز للتلـوث وللتدهـور البيئـي والاجتماعـي، وهـي مؤسسـة رأسـمالية شـنّت الحـرب عـلى الفقـراء مـن خلال إبـادة الواحـات النخليـة في قابـس وتلويـث الهـواء وقتـل العديـد مـن الحيوانـات والنباتـات، وتلويـث البحـر الـذي هـو مصـدر رزق الصيادين، حيـث «يتحـدث البعـض حتـى عـن إرهـاب بيئـي، في سـياق خطـاب سـياسي مشـحون بمكافحـة الإرهـاب، وهـذا مجـرد مثـال مـن بـين أمثلـة كبـيرة تسـلط الضـوء عـلى العلـل المرتبطـة بالنهـج الاسـتخراجي وعللـه».[114]

II.إرهاب الصيد وتدمير الثروة البحرية

في منطقـة جرجيـس «تتسـلل بعـض المراكـب المتخصصـة في الصيـد بالأعـماق بصفـة غـير قانونية إلى الميـاه الضحلـة التـي تتواجـد بهـا مسـاري عديـد فصائـل الأسـماك القاعيـة وأماكـن وضـع بيوضهـا والتـي تدمرهـا شـباك الجـر.»[115] وهكـذا فـإن السـخط والاسـتياء تجـاه هـذا النـوع مـن الصيـد هـي علامـات ودلالات يُقِـرُ بهـا أغلـب بحـارة جرجريـس، يُفَسِّر م. ع. هـذا النـوع مـن الصيـد: « **نجـد أحيانـا بحـارة يصطـادون بالجـر بطريقـة قانونيـة ويبحـرون في أعـماق لا تقـل**

111 مقابلة مباشرة مع س، خ، سبق ذكره.

112 مقابلة مباشرة مع ش، ب، سبق ذكره.

113 Sophie- Anne Bisiaux, Marco Jonville, Op.cit.

114 حمزة حموشين، أي تنمية نريد؟ العدالة البيئية والإستخراجية والتنمية المستدامة، في نحو تنمية عادلة اجتماعيا في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، تحرير وتقديم: سالم سعيد، ترجمة: ياسر الزيات، مؤسسة فريدريش إيبرت، 2017، ص 102 -104، ص 117.

115 آمنة بن كحلة، مرجع سابق، ص12.

عـن *40* و*50* مـترا، ولكـن نرصـد أحيانـا تواجـد البعـض منهـم عـلى عمـق *25* و*30* مـترا مـع غيـاب المراقبـة في البحـر. أمـا الصيـد بالكيـس وهـو نمـط صيـدي مـن أنمـاط الإفـراط في صيـد السـمك الممنـوع قانونيًـا، فهـم صيـادون يتحصلـون عـلى قـوارب دون اسـم وحجَـة ودون رقـم في سـياق لم تقـم فيهـا الدولـة بالمراقبـة، ولهـذه السـفن محـركات قويـة جـدًا، ينزلـون الكيـس ويصطـادون في أعـماق صغـيرة.»[116]

مـن جهـة أخـرى «يعتمـد الصيـادون عـلى اسـتخدام كشـافات ضوئيـة بقـوة 320 فولـت عوضـا عـن 220 فولـت في أعـماق تقـل عـن 35 مـترًا لاجتـذاب الأسـماك الزرقـاء قصـد تطويقهـا وصيدهـا وهـو مـا يُلحـق أضرار فادحـة بالـثروة السـمكية والنظـم الايكولوجيـة البحريـة.»[117] يكشـف م. ع. عـن هـذا النـوع مـن الصيـد: **«في البحـار نرصـد الصيـد بالأضـواء بشـكلها القانـوني أو غـير القانـوني، وحـول الفئـة غـير القانونيـة فهـؤلاء يقومـون بوضـع كشـافات ضوئيـة قويـة تفـوق *220* فولـت وتصـل إلى *380* فولـت فـوق البحـر وخـلال الليـل مـن أجـل تجميـع السـمك وخاصـة السـمك الأزرق في مـكان معـيّن باعتبـار أن ميناء جرجيـس مـن أكـثر الموانـئ التـي تصطـاد وتبيـع السـمك الازرق، تضـل الكشـافات الضوئيـة تشـتغل لمـدة *5* و*6* سـاعات، وحينما يلاحظـون تجمـع كميـات كبـيرة مـن الأسـماك تحـت الضـوء يقومـون بملئهـم وصيدهـم جميعـا عـن طريـق الشـباك (الغزل)...تسـاهم طريقـة الصيـد هـذه في قتـل أنـواع بحريـة وسـمكية وفي قتـل أعشـاب داخـل البحـر، كـما أن هـؤلاء لا يحترمـون أحيانـا الأعـماق، فهـم يشـعلون الأضـواء في عمـق *15* مـترا ولكـن ومـن المفـروض لا يتـم اسـتعمال هـذه الكشـافات إلا في عمـق أكـثر مـن *25* مـترا تقريبـا.»**[118]

ولا تقـف عمليـات اسـتنزاف الـثروة السـمكية عنـد هـذا الحـد بل يعمـد أيضـا «بعـض الصيادين إلى تـرك شـباكهم ملقـاة بالميـاه لمـدّة يومـين متواصلـين بـل وأكـثر بهـدف تعزيـز فرصهـم في صيـد بعض أنـواع الأسـماك ذات القيمـة التجاريـة العاليـة رغـم أنّ القانـون يمنـع مثـل هـذه الممارسـات.»[119]

يتمكـن هـذا النـوع مـن الصيـد مـن تجـاوز كميـات الإنتـاج التـي تحققهـا الأنـواع الأخـرى مـن المصائـد في جرجيـس، ففـي سـنة 2021 وصلـت كميـات الإنتـاج البحـري في الميناء الصيـدي بجرجيـس 6339 طـن، منهـا 53 طـن مـن إنتـاج الصيـد بالأعـماق و210 طـن صيـد الـتن و146 طـن مـن الصيـد بالبحـيرات وتربيـة الأسـماك و3.0 طـن مـن صيـد الإسـفنج و2816 طـن مـن إنتـاج الصيـد السـاحلي و3312 طـن مـن إنتـاج الصيـد بالأضـواء.[120] وهكـذا فـإن الصيـد

116 مقابلة مباشرة مع م، ع، سبق ذكره.

117 آمنة بن كحلة، مرجع سابق، ص12.

118 مقابلة مباشرة، مع م، ع، سبق ذكره.

119 آمنة بن كحلة، مرجع سابق، ص12.

120 الجمهوريـة التونسـية، وزارة الاقتصـاد والتخطيـط، ديوان تنمية الجنـوب، "ولاية مدنين بالأرقام 2021"، أكتوبـر 2022، ص117.

بالأضواء ينتج اللاتوزان بينه وبين الأنواع الأخرى من المصائد، فمن خلال الكشافات الضوئية القوية يحتكر هذا النوع من الصيد الثروة البحرية والسمكية على حساب «فقراء الصيد».

مقابل هذه الممارسات العشوائية نرصد عجز الدولة وضعفها، فالحكومات المتعاقبة بعد سنة 2011 لم تستطع إيجاد حلول جذرية تقطع مع هذه الأزمة التي تهدد النظم الإيكولوجية البحرية. كما أن حكومة ما بعد 25 جويلية 2021 لم تستطع هي أيضا حل هذه الإشكاليات التي تهدد سلامة وبقاء الثروة البحرية، فالصيد بمثل هذه الطرق هو تدمير للنظم الإيكولوجية البحرية وللثروة السمكية، التي صارت مهددة بإبادة عديد الأنواع منها.

إن هذا النوع من الصيد ليس حكرًا فقط على المراكب والسفن التونسية، فبحارة جرجيس يرصدون أيضا تواجد سفن أجنبية تُبحر في منطقة الصيد بجرجيس وهذا ما يُعبر عنه ش. ب. **بإرهاب الصيد**: «**في جرجيس تبحر السفن المصرية لمدة أربعة وخمسة أيام وذلك خلال فترات الراحة البيولوجية حيث تقوم بانتهاك المصائد، وهذا الأمر مسكوت عنه، كذلك تنشط حوالي *3000* مركب وسفينة صيد بالكيس بطريقة غير قانونية وهؤلاء لا يحترمون الراحة البيولوجية فهم يمارسون إرهاب الصيد**».[121]

رغم ما تتسبب به هذه المراكب من إتلاف وتدمير للثروة البحرية إلا أنهم هم من يتحصلون على تعويضات من قِبل صندوق الراحة البيولوجية ويتم ذلك على حساب فقراء الصيد: «**ندفع لصندوق الراحة البيولوجية *2% (UTP)* من كل محصول سمكي نبيعه في الميناء ولكن لا نتحصل على أي تعويضات أثناء الراحة البيولوجية، فالمنتفعون بهذا الصندوق هم كبار البحّارة فقط**».[122]

بسبب الصيد المُكثف وتجريف قاع البحر أصبحت الأرصدة السمكية آخذة في الانخفاض، وأصبح البحر يمر بتغيرات حادة، حيث لم يعُد باستطاعة العديد من الأنواع البحرية العيش في هذه الظروف غير المواتية التي لا تحترم الراحة البيولوجية وتفرط في الصيد لتُصبح العديد من الأنواع البحرية عُرضة لخطر الانقراض وهذا ما يفسره م. ع.: «**تعال أنت... وقم بقتل صغار وجيل كامل، فلن تجد شيء بعده، هذا هو حال الثروة البحرية فالصيد بالكيس يقتل في أجيال بحرية كاملة**».[123]

بشكل عام ساهم الصيد المكثف في تراجع الظروف الاقتصادية والاجتماعية لبحارة الصيد الساحلي بجرجيس، حيث يقر 94.50 % من المستجوبين أنّ الصيد بالكيس والجر قد

121 مقابلة مباشرة مع ش، ب، سبق ذكره.

122 مقابلة مباشرة مع ش، ب، سبق ذكره.

123 مقابلة مباشرة مع م، ع، سبق ذكره.

ساهم في تدهور وهشاشة أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية. ومن هذا المنظور فقد تشكل في فضاء المتوسط طبقتان متضادتان الأغنياء وهم الصيادون الكبار الذين يصطادون بطرق عشوائية وطبقة الفقراء وهم الصيادون التقليديون وبحارة الصيد الساحلي.

III.النساء ضحايا اللاعدالة الاجتماعية والبيئية: قصّة نساء مكافحات ومقهورات

يُقدم هذا العنصر من الدراسة، جزءا من قصص معاناة وكفاح النساء العاملات في القطاع الفلاحي بمنطقة بوغرارة، فهي محاولة وصفية وتأريخية لسردية دراماتيكية، وإجابة على سؤال مفاده كيف يمكن للعوامل البيئية والمناخية واللاعدالة الاجتماعية أن تلعب دورا مهما في تعزيز مشاعر الاستياء لدى النساء الصيادات والفلاحات؟

منذ سنة 2007 تشتغل ع. ك. بالقطاع الفلاحي بمنطقة بوغرارة، وتقريبا من شهر أكتوبر إلى مارس من كل سنة تشتغل في ربط أو خياطة (ترقيع) الشباك وذلك لفترة يومية تمتد من شروق الشمس إلى غروبها. وفي موسم جني الزيتون، تمتهن ع. ك. نشاط جني الزيتون ولكنها لا تتقاضى أموالا وذلك بطلب منها، وإنما تتقاضى حوالي 50 لترًا من الزيت باعتبار أنّ تلك الكمية تُمثّل مخزونًا عائليا استهلاكيا وأساسيا لمدّة سنة كاملة.[124]

ورثت ع. ك. مهنة ربط شباك الصيد عن طريق والدها الذي كان يشتغل وظيفة «بحري» قبل أن يصاب بمرض السرطان سنة 2019، وتمتهن هذا النشاط أيضا رفقة شقيقتها ووالدتها. ولكن تعاني ع. ك. وعائلتها من قهر ومعاناة طريقة العمل فوفقا لها: « **في بعض المواسم نصل إلى ربط وخياطة حوالي *100* قطعة من شباك الصيد، والبحارة هم من يطلبون منّا ذلك، وأحيانا يجلبون معهم شباكا جديدة بغاية ربطها، وأحيانا أخرى يقدمون لنا شباكا قديمة ومستخدمة في الصيد بغاية خياطتها وصيانتها، ولكن هذا النوع الأخير (الشباك المستعملة) يكون ملوثا بسبب السرطانات البحرية التي ظلت عالقة في الشباك، وتكون رائحتها كريهة، ووفقا لطبيب مختص في الامراض الجلدية، فإن شقيقتي تعاني من مرض الفطريات في أظافرها جراء هذه الشباك**».[125]

تُعاني النساء العاملات في مجال تحضير معدات الصيد من مسألة التلوث التي طالت جلدتهنّ، ولكن المعاناة لا تقف عند هذا الحد بل تعاني ع. ك. مثلها مثل بقية النساء من عناء العمل وسعره البخس: «**أمي مريضة وبإمكانها فقط أن تقوم بربط شباك واحد في اليوم، أما أنا وأختي فنعمل يوميا على ربط أربعة شباك يوميا، وهذا العمل**

124 مقابلة مباشرة مع ع، ك عاملة بالقطاع الفلاحي ببوغرارة، أجريت المقابلة يوم 10 مارس 2023 على الساعة الخامسة مساء بنزل المهاري بالحمامات وذلك بمناسبة المؤتمر الوطني الأول لعاملات القطاع الفلاحي وبتنظيم من المنتدى التونسي للحقوق الإقتصادية والإجتماعية.

125 مقابلة مباشرة مع ع، ك، سبق ذكره.

ليس باليسير وذلك بغاية الحصول على *50* دينارًا باعتبار أن والدي أصابه مرض السرطان ونحن نتحمّل تكاليف ومصاريف المنزل، فالشبكة الواحدة تساوي *10* دنانير، ومع ذلك فإن بعض البحّارة وبعد أن ننهي عملنا يتشكون من طريقة صيانة أو ربط شباك الصيد ويعتبرون أنها لا تكون بمثل هذه الطريقة (أي أن عملهن غير جيد في نظر بعض الصياديـن)».[126]

تنخرط النساء في بوغرارة في نشاط جمع المحار الذي ينتشر في ثلاثة ولايات وهي صفاقس، مدنين وقابس، وتقع معظم مصانع تجميع المحار تقريبا في ولاية صفاقس والتي تضم أربعة مناطق تجميع، الأولى من الحد الشمالي حتى الجرف، والثانية منطقة بوغرارة، والثالثة منطقة جربة والرابعة منطقة جرجيس. وتستمر حملات جمع المحار من الخريف إلى الربيع بحجم تنظيمي 35 ملم. ويعتبر المحار «مهنة بديلة» لإنتاج الزيتون أو الحبوب.[127] وفي هذا النشاط، تعاني النسوة العاملات من ظروف بيئية وتجارية وسياسية سيئة، توضح ز. م.: «**منذ دولة الاستقلال *1956* إلى سنة *1996* كان جمع المحار نشاطًا مفتوحا، ونشتغل ضمن أطر صحيّة عن طريق القيام بتحاليل صحية والحصول على بطاقات صحية كما كنا نجمع المحار بأحذية صحية، وسابقا قمت ببناء منزلي عن طريق هذا النشاط، ففي الماضي كنت أتمكن من جمع حتى *20* كيلوغرام في اليوم الواحد وبعد سنة *2011* صرت أتحصل فقط على خمسة كيلوغرامات من المحار .... منذ سنة *1997* دخلنا إلى بيع هذا المنتوج البحري عن طريق السوق السوداء (غير نظامي) باعتبار أن هناك عائلات نافذة تحكمت في عملية إنتاج وتوزيع المحار، وبعد ذلك دخل الوسيط على الخط التجاري، فقبل سنة *1997* كانت المجمعات هي التي تأتي إلى بوغرارة وكانت التسعيرة واضحة، أما بعد ذلك التاريخ صارت المجمعات في مدينتيْ قابس وصفاقس وأصبح الوسيط الذي من منطقتنا هو الذي يُوَزِعُ المحار باعتبار أننا لا نمتلك سيارات لإيصال المنتوج للمجمعات، وهكذا فإن الوسيط هو الذي يحدد السعر ويقول لنا حرفيا: إما أن أشتريه بهذا السعر أو أن يظل المحار عندكم».**[128]

تتسم شهادة ز. م. ببعض الغموض حول العائلات النافذة التي احتكرت عملية اقتناء وبيع المحار، فالمرأة المستجوبة لم تحدد الهوية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لهذه العائلات. ولكن ما يمكن أن نتفق فيه معها هو أنّ السياسة الاقتصادية التونسية اتسمت بمفعول المحاباة والزبونية في أواخر تسعينيات القرن الماضي ومطلع الألفية. فالرأسمالية

126 مقابلة مباشرة مع ع، ك، سبق ذكره.

127 Hervé Bru, Marouane Chikhaoui, Op.cit. P 11.

128 مقابلة مباشرة مع ز، م عاملة بنشاط جمع المحار ببوغرارة، أجريت المقابلة يوم 10 مارس 2023 على الساعة الرابعة مساء بنزل المهاري بالحمامات وذلك بمناسبة المؤتمر الوطني الأول لعاملات القطاع الفلاحي وبتنظيم من المنتدى التونسي للحقوق الإقتصادية والإجتماعية.

التونسية شهدت تطورات جعلتها تمرّ من « «رأسمالية الدولة» إلى «رأسمالية تحت رعاية الدولة» ثمّ وانطلاقا من 1986 إلى «رأسمالية تحاول الانفتاح على المنافسة العالمية» وفي العشرية الأولى من القرن الواحد والعشرين إلى «رأسمالية محاباة ومحسوبية». »[129]

ووفقا لـ ز. م. فإن النساء في بوغرارة يمتهن هذا النشاط في شواطئ قابس وبن قردان وجرجيس وجربة، فقصّة عملهم شاقة، حيث تقول م. ب.: «**المرأة العاملة في جمع المحار هي مرأة مناضلة، فهي تسير مشيًا على الأقدام حوالي *4* كلم بحثا عن المحار وتعترضها صعوبات عديدة منها تلوث البحر ويصل جمع المحار أحيانا على عمق *3* و *4* أمتار، وقد تتحصل أحيانا على كيلوغرامَيْن أو ثلاثة كيلوغرامات وبعد ذلك لا يشتريه الوسيط**».[130]

حول برودة الطقس فإن النسوة العاملات في نشاط جمع المحار يؤكدن على أنّ تعاطي هذا النشاط يكون في البرد وليس في درجات حرارة مرتفعة، باعتبار أن الطقس الساخن يقوم بقتل المحار، وإذا ما عدنا إلى التحليلات المتعلقة بارتفاع درجات الحرارة فإنه يمكن القول أن هذا النوع البحري مهدد بالتقلص الملحوظ الذي سيعود بالضرر على العاملات في هذا النشاط.

حول القصص الدراماتيكية تؤكد ي. م. على معاناة النساء الاقتصادية والبيئية: «**أنا أبلغ من العمر *51* سنة ومنذ أن كان عمري *16* سنة أمتهن نشاط جمع المحار، وسابقا كان بإمكاننا أن نوفر حاجياتنا الاساسية من خلال هذا العمل، أما الآن فقد أصبحت الظروف الاقتصادية رديئة ونعاني أيضا من عدم نظافة بحر بوغرارة**».[131] بالفكرة نفسها تقول ز. م.: «**هناك علاقة بين تقلص المحار والبيئة، فالمناطق التي كنا نجمع فيها المحار تلوثت جراء المجمع الكيميائي بقابس كما أنّ ديوان التطهير بجربة قام بتلويث البحر**».[132]

رغم الصعوبات والمحن إلا أنه ووفقا للمندوبية الجهوية للتنمية الفلاحية بمدنين، قسم الصيد البحري وتربية الأسماك بجرجيس، فقد تم غلق نشاط جمع المحار بولاية مدنين منذ سنة 2017 وفي هذا الاطار يوضح ع. س.: «**مشكلة المحار هي التحاليل العالقة منذ سنة *2017* في ولاية مدنين، لا توجد حالات أثبتت مرض بعض الناس جراء المحار. هناك تحاليل دورية تقع في تونس (كل شهر يقع حوالي *15* نوعا من التحليل) وولاية مدنين لم تستطع إجراء التحاليل**».[133]

129 بكار غريب، «مسألة منوال التنمية البديل»، في حركية المجتمع التونسي في عشرية الثورة بين « إرادة الحياة » و« استجابة القدر » ، تقديم: المولدي قسومي، تونس، دار محمد علي للنشر، 2020، ص 139 -146 ص 144.

130 مقابلة مباشرة أجريت 11 ماي 2023 على الساعة 11:08 صباحا بدار الشباب ببوغرارة مع م، ب عاملة بالقطاع الفلاحي بمنطقة بوغرارة.

131 مقابلة مباشرة أجريت 11 ماي 2023 على الساعة منتصف النهار بدار الشباب ببوغرارة مع ي، م عاملة بنشاط جمع المحار بمنطقة بوغرارة.

132 مقابلة مباشرة مع ز، م، سبق ذكره.

133 مقابلة مباشرة مع ع، س سبق ذكره.

بتعلّة عدم توفر إمكانية التحاليل أغلقت المنافذ الاقتصادية للنساء العاملات والمكافحات في نشاط جمع المحار، ومن خلال الحوارات معهنّ تُقر أغلب النساء على أنهن يجمع المحار منذ سنة 2017 ويقمن أحيانا ببيعه بطريقة غير نظامية ولكن الحرس البحري بالمرصاد: توضح م.ب: «**أحيانا أقوم بجمع 3 أو 4 كيلوغرامات من المحار ولكن يأتي الحرس البحري ويفتك منا المحاصيل لأعود إلى منزلي بمطافئ الحزن الكبير وهي الدموع، أبكي على مجهودي الذي ذهب سُدًى وفي عز البرد**»[134].

رغم معاناتهن إلا أن النساء يخضعن إلى القوانين التي يهندس لها الأقوياء، يفسر ش. ب.: «**المرأة التي تشتغل في المحار يقتطعون عليها الراحة البيولوجية، وهي ما دخلها في الراحة البيولوجية؟؟؟ هي تقوم بربط ابنها على ظهرها وتلتقط المحار وفي عز البرد... ومع هذا يقتطعون عليها 2 % من قيمة المحاصيل**».[135]

بشكل عام يمكن القول إن النساء هن أولى ضحايا السياسات غير العادلة، فهن ضحايا التغيرات المناخية والبيئية، ومن شأن هذه التغيرات «أن تضخّم على وجه الخصوص الأنماط القائمة **للعائق الجنساني**. وفي العالم بأسره، إذ تحصل النساء على نحو أقلّ من الرجال على الموارد المالية والمؤسسية والموارد الأخرى التّي قد تحسّن قدراتهنّ على التكيّف مع تغيّر المناخ، بما في ذلك الحصول على الأراضي والائتمان والمدخلات الزراعيّة والوصول إلى هيئات صنع القرار والتكنولوجيا وخدمات التدريب».[136]

خاتمة

في ظل وجود شركات استخراجية وملوثة مثل المجمع الكيميائي، وفي سياق وجود شركات من بقايا الاستعمار مثل الكوتيزال والتي تتبنى نموذجا يتمثل في خدمة دول الجنوب للشمال، وفي ظرفية انتصرت فيها النماذج والسياسات الوطنية إلى المستثمرين وكبار الصيادين صارت منطقة الصيد التونسية وخاصة الجنوبية وعلى خليج قابس مكبا للنفايات ومرتعًا لأصحاب المراكب الكبرى، وبالتالي هشاشة صغار الصيادين.

فرغم أنّ قطاع الصيد الساحلي هو «قطاع نبيل ورشيد» ولا يزال تقليديا، حيث يعتمد البحارة على الصنارة والشباك ويتبعون المواسم ولا يؤثرون على المخزون السمكي ولا يُسهمون في تلويث البحر، وعلى الرغم من أن النساء العاملات في المحار يصطدن بطريقة تقليدية أيضا ولا يلحقن بالضرر البيئي على الشواطئ وفي البحار، إلا أنّ هاتين الفئتيْن هما الأكثر تضررا بالتحولات المناخية واللاعدالة البيئية.

134 مقابلة مباشرة مع م.ب، سبق ذكره.

135 مقابلة مباشرة مع ش، ب، سبق ذكره.

136 التقرير الخامس، التنمية المستدامة والعمل الائق والوظائف الخضراء، مكتب العمل الدولي، جنيف، 2013، ص 13.

يعتبر بحارة الصيد الساحلي والفاعلين الاجتماعيين في جرجيس والنساء الفلاحات في بوغرارة أنّ نموذج البيئة غير المنضبط وتفاقم ظاهرة الصيد العشوائي وتقاعس السلطات هي عوامل أساسية وجوهرية ساهمت في تردي حالتهم الاقتصادية والاجتماعية والصحية. وتأتي هذه الأثار السلبية غير المتكافئة من طرف شراكات تونسية أوروبية في سياقات عالمية، حيث « أن أكبر الجناة هو العلاقات الدولية الاستعمارية الجديدة التي تواصل نهب معظم البلدان عبر الشركات المتعددة الجنسيات، والقواعد والاتفاقيات التجارية، والمؤسسات الدولية مثل البنك الدولي وصندوق النقد الدولي».[137]

في سياق التحولات العالمية المعاصرة، وتقريبا منذ سبعينيات القرن الماضي تبنّت البلاد التونسية النماذج الاقتصادية للرأسمالية العالمية. وفي إطار النموذج الاستخراجي في تونس (مثلا: الفسفاط في الحوض المنجمي ومعالجته في المجمع الكيميائي في قابس والذي ساهم في تلوث البحر) فإن الدولة تسعى إلى تحقيق القيمة المضافة ولو كان ذلك على حساب العدالة الاجتماعية وقيم المساواة والحالة الصحية والبيئية المحلية وأرزاق الفلاحين والمزارعين والصيادين. بهذا المعنى يمكن القول أنّ اللاعدالة البيئية هي إحدى سمات النظام النيوليبرالي المعاصر والمهمين، فهي تتميّز بثلاثة خصائص: 1/ الهوّة الآخذة في الاتساع بين الأمم وداخلها، 2/ الطريقة التي تستغل بها الشركات العابرة للحدود تحت غطاء أيديولوجية السوق الحرّة، حيث يتم تطبيق الثغرات والقوانين بشكل انتقائي في سوق أكثر حريّة بالنسبة إلى بعض المجتمعات والطبقات أكثر من غيرها، 3/ العبء المصاحب للتدهور البيئي غير المستدام الذي يؤثر بشكل مباشر على صحة الفقراء ومعيشتهم.[138] وبالتالي وعلى نطاق زمني فإن تأثيرات هدر النظم البيئية والأزمة المناخية هي التكاليف غير المباشرة للإمبريالية والقوى الاستعمارية والسياسات النيوليبرالية التي تتبناها دول معظم الجنوب في إطار التبعية وعدم فك الارتباط.

137 حمزة حموشين، مرجع سابق، ص 104.

138 Rob Nixon, Slow violence and the environmentalism of the poor, Harvard University Press, 2011. P 45.

الفصل الثالث:

الدولة العاجزة وهشاشة المجتمع الصيدي الساحلي والحرفي

مقدمة

تَغَيَّرَ المناخ، وتَغَيَّرَت مَعَهُ الظروف الاقتصادية والاجتماعية لصغار البحارة التي صارت متردية. ومن جهة أخرى فإن اللاعدالة البيئية واستنزاف الثروة السمكية من قِبل الصيادين بالكيس والجر والأضواء أدت إلى تدهور الحالة السوسيو اقتصادية لمجتمع الصيد الساحلي والحرفي.

علاوة على ذلك فإن البحارة يعانون من تقسيم غير عادل للحدود ويتعرضون للابتزاز والتهديد من قبل بعض البحارة الذين تحولوا إلى قراصنة. ومع كل هذا الألم إلا أن بحارة الصيد الساحلي يؤدون واجب الإنسانية وهو إنقاذ المهاجرين غير النظاميين العالقين في البحر، ومع هذا فإن السلطات التونسية والسياسات الهجرية الأوروبية تُجَرِم عمليات البحث والإنقاذ.

إذن يعيش بحارة الصيد الساحلي والحرفي في مربع الحرمان، وجاءت الثورة التونسية سنة 2011 محملة بشعارات تطالب بالحرية والعدالة الاجتماعية، وجاء مسار 25 جويلية

2021 محمّلا بخطابات تؤكد على النهوض بالفئات الهشة والشعبية، وتأتي هذه التحولات السياسية والمتسارعة في سياق يكافح فيه البحارة من خلال تنظيم حركات احتجاجية برهانات متعددّة، فما الذي تغيّر؟

بناء على ما تقدم يتفحص هذا الفصل فيما مدى حضور الدولة التونسية واستجابتها للمطالب الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع الصيدي الساحلي والحرفي في سياقات انتقالية (ما بعد سنة 2011 وبعد 25 جويلية 2021)، ويبحث عن جهود الدولة في وقف العمليات الإبتزازية داخل الأميال البحرية التونسية وعن إيجاد حلول للتقسيم العادل للحدود، ويتثبت هذا الفصل في عمليات تأطير الدولة للصيادين وتوجيههم وإرشادهم، ويبحث هذا الفصل أيضا عن السياسات الهجرية الأوروبية والوطنية التي حولت الأفعال الإنسانية إلى عمليات إجرامية.

ا.غياب الدعائم المادية واللوجستية بعد الثورة التونسية

مقابل التغير المناخي والتلوث البيئي في البحر الأبيض المتوسط وتدهور الظروف السوسيو اقتصادية للصيادين، هل يتلقى بحارة الصيد الساحلي بجرجيس دعائم مادية ولوجستية من قبل الدولة سواء كان ذلك بعد سنة 2011 أو بعد 25 جويلية 2021؟

رسم بياني عدد 13: الدعائم المادية واللوجستية بعد سنة 2011 وبعد 25 جويلية 2021 حسب العينة المستجوبة

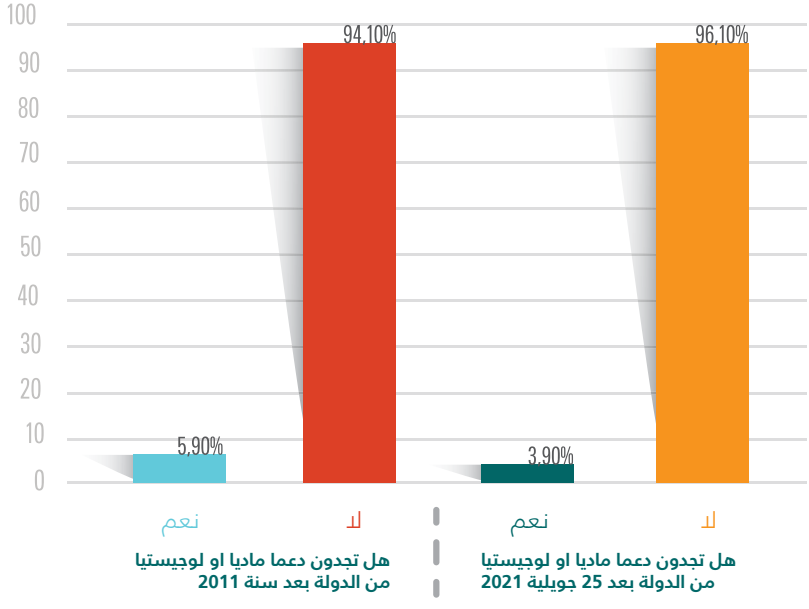

المصدر: العمل الميداني

تُبيّن البيانات الكمية غياب الدولة التونسية في عملية تقديم المساعدات والدعائم لبحارة الصيد الساحلي. فرغم الخطابات السياسية الرائعة بعد سنة 2011 وبعد 25 جويلية 2021 والتي تُؤكد على ضرورة دعم الفئات الهشة وتدخل الدولة في المجالات الاقتصادية والاجتماعية إلاّ أنّ هذه الأقوال لم تُترجم إلى أفعال لتتعزز مشاعر السخط والاستياء.

II.صيادون عالقون في «الصحراء البحرية»

لا يتجسد غياب الدولة فقط في المسألة السوسيو اقتصادية وإنما أيضا في علاقتها بالمسائل العابرة للوطنية وذلك من خلال التقسيم غير العادل للحدود وترك الصيادين لوحدهم في مواجهة الطلقات النارية والابتزاز من قبل بعض القراصنة.

يُصر الصيادون بأن منطقة الصيد بجرجيس صارت «**صحراء حقيقيّة**». فبعد التقسيم والمشاركة الدولية للبحر المتوسط، أصبح صيادو جرجيس منحصرين في المياه الساحلية التي أصبحت خاليّة من الأسماك في أعقاب الكوارث البيئية والصيد الجائر.[139] يوضح م. ع.: «**سابقا وقبل سنة *2005* كنا نشتغل ضمن منطقة بحرية مشتركة بين تونس وليبيا وتجد فيها تونسيين وليبيين وحتى مالطيين، وقد وَقعت الدولة التونسية اتفاقيات دولية في ذلك وتحصلت ليبيا في عهد معمر القذافي على ملكية *74* ميل على شواطئها وحدودها وتحصلت الجزائر على *74* ميل وفي تونس نتحصل فقط على *24* ميل. وهذا يُعتبر مظلمة وعدم عدل في تقسيم الحدود، ومن دفع الفاتورة: هم بحارو الصيد الساحلي، لأنه إذا لم يُبحر في تلك المناطق فلن يربح أو لن يربح الكثير.**»[140]

منذ سنة 2005 وفي حوار 5 زايد 5، وسعت دول أخرى مجالها البحري، وأنشأت ليبيا آنذاك منطقة صيد خاصة بها ومنعت وصول البحّارة التونسيين. أما تونس فقد أنشأت مجالها الصيدي الخاص لكنّها على خلاف ليبيا فهي تسمح بدخول السفن الأجنبية. وتتواجد سفن الصيد المصرية بشكل خاص بالإضافة إلى سفن الصيد التونسية (خاصة من صفاقس) التي لم تعد قادرة على الصيد في المياه الليبية الغنيّة بالأسماك. علاوة على ذلك هناك الكارثة البيئية حيث أن مياه جنوب تونس صارت خالية من الأسماك بسبب الصيد الجائر.[141]

البحارة محاصرون وعالقون في صحراء بحرية من قبل الثورة التونسية، ولكن زاد هذا الوضع تعقيدا بعد الأزمة الليبية في سنة 2011، فالبحارة الذين كان بإمكانهم أحيانا أن يبحروا في مياه ليبيا وتحديدا في خليج سرت الغني بالأسماك أصبحوا غير قادرين على ذلك في فترة ما بعد الاضطرابات السياسية التي عاشتها المنطقة العربية.

139 Sophie- Anne Bisiaux, Marco Jonville, Op.cit.

140 مقابلة مباشرة مع م، ع، سبق ذكره.

141 Sophie- Anne Bisiaux, Marco Jonville, Op.cit.

1.حينما يتحول الصيادون إلى قراصنة

يأسف بحارة جرجيس بقولهم: "لدينا في تونس خفر السواحل البحرية الوطنية، ولديهم الميليشيات. عندما لا يكون لديك حكومة لتناقشها، فإننا سنعاني». ويضيف أحد البحارة: «منذ وفاة القذافي، خرجت ليبيا عن السيطرة، وأصبح معظم الصيادين قراصنة».[142] فبعد سنة 2011 لم يعد بإمكان بحارة جرجيس وكل البحارة التونسيين الاصطياد في المياه الليبية، وصاروا عرضة للابتزاز والتهديد وحتى القتل في بحار المتوسط.

في سنة 2012 لقي صياد تونسي مصرعه تحت الرصاص الذي أطلق من زورق ساحلي ليبي بينما تمّ أسر 18 من أفراد الطاقم الآخرين في طرابلس. في عام 2015 احتجزت الجماعات المسلّحة الليبيّة أربعة قوارب صيد تونسية دخلت المياه الليبيّة وأخذتها إلى ميناء زوارة. كما وقعت الهجمات حتى في المياه التونسيّة كما حدث في فيفري سنة 2016 عندما تمّ الصعود على متن 13 سفينة صيد تونسيّة على متنها 70 بحّارا وتمّ نقلهم إلى نفس الميناء ثم طالب الجانب الليبي بفدية مقابل الإفراج عنهم. وفي سنة 2017 هدّد صيادون ليبيون من زوارة بخطف أي بحّار تونسيّ يواجههم في البحر انتقاما لسيطرة الحرس البحري التونسي على سفينة صيد ليبية في ميناء صفاقس. ومنذ ذلك الحين تضاعفت عمليات خطف الرهائن.[143] وفي هذا الإطار يقر 90.10 % من عينة الدراسة أنه لا يمكنهم الاصطياد في المياه الليبية ويؤكد أيضا 90.10 % أنهم قد تعرضوا للابتزاز والتهديد من قبل القراصنة الليبيين. فالخطر يحاصر البحارة، ويستنكر الصيادون وجمعية البحّار التنموية البيئية بجرجيس عدم وجود رد حازم من قبل السلطات التونسية. [144]

بالإضافة إلى معاناة الصيادين جراء التغيرات المناخية واللاعدالة البيئية فإن البحارة أصبحوا محاصرين في صحراء بحرية، والفضاء صار مهددا بإبادة العديد من الأنواع السمكية ومحاصرا بطلقات النار من قِبل بعض الميليشيات الليبية. وفي ظرفية تتسم بشبه غياب للدولة التونسية وغياب تام للسلطة الليبية صار البحّارة يعولون على رساميلهم العلائقية والتاريخية: «**اليوم لا يوجد سلطات في ليبيا إذن لا يمكننا التفاوض وإيجاد الحلول .... بحكم العلاقات التاريخية بين العديد من مواطني جرجيس والليبيين أصبحنا نعتمد على منطق الأخوة والتقارب والجيرة وذلك حتى لا نقع في مآزق إنسانية**».[145]

لا تقف معاناة بحارة الصيد الساحلي بجرجيس عند هذا الحد، فالمسألة القانونية أيضا هي أحد علامات انتصار الدولة لفئة الأغنياء ومزيد من التهميش لفئة الفقراء.

142 Zoé Debussy, Raphael Cuneo, Op.cit.

143 Sophie- Anne Bisiaux, Marco Jonville, Op.cit.

144 Ibid.

145 مقابلة مباشرة مع م، ع، سبق ذكره.

III.القانون: هيمنة الأقوياء على الضعفاء

1.راحة بيولوجية دون تعويضات مادية وتغطية اجتماعية دون عدالة اجتماعية

بكل ألم وجراء القوانين غير العادلة يقول ش. ب.: «**الصيد الساحلي هو الحلقة الضعيفة، ولذلك يشهد هذا القطاع طفرة كبيرة من الهجرة**».[146]

«فقراء الصيد» هم ضحايا القوانين التي صاغتها الدولة التونسية،[147] فهم يدفعون الإتاوة إلى صندوق الراحة البيولوجية ولكن لا يتحصلون على أي تعويضات أو مزايا. ومن جهة أخرى ينخرط أغلب بحارة الصيد الساحلي في منظومة الضمان الاجتماعي بصفة فردية وذلك على اعتبار أنّ البحار مطالب بدفع معلوم الضمان الاجتماعي حتى وإن لم يكن هناك محاصيل بحرية ومرابيح اقتصادية، لذلك فإنّ أحد أهم المعوقات التي يرتطم بها بحارة الصيد الساحلي هو قانون التغطية الاجتماعية غير العادل، يؤكد ع. س.: « **إنّ منظومة الضمان الاجتماعي هي منظومة تعيسة في القطاع الصيدي وليست في خدمة صغار البحارة لذلك لا بد من معالجتها**».[148]

يوضح ش. ب.: «**أنا لست ضدّ القانون ولكني مع القانون الذي يراعي مصالح الفقراء ويحمي كرامة الإنسان... نحن (بحارة الصيد الساحلي) وبعد الاصطياد ندفع *8 %* تتوزع كالتالي: *4 %* إلى وكيل الأسماك، *2 %* لدعم البحارة، و*2 %* لصندوق الراحة البيولوجية. ونحن لا نتحصل على تعويضات من صندوق الراحة البيولوجية ... كما أنّ مشكلة الصيد الساحلي هي أن قانون التغطية الاجتماعية لا يتماشى مع القطاع، فالقانون يتطلب منا أن ندفع معلوم صندوق الضمان الاجتماعي كل ثلاثة أشهر، إلا أن بعض من زملائنا لا يمكنهم الدفع فيتم حجز مراكبهم، أي حينما أكون غير قادر على الدفع باعتبار أنه لا يوجد محاصيل بحرية وأرباح مادية يتم حجز مورد الرزق...**» .[149]

رغم تشكل عديد الحكومات بعد سنة 2011 إلاّ أنّ وضعية بحارة الصيد الساحلي لم تتغيّر. فعلى سبيل المثال أعلنت وزارة الفلاحة في سنة 2016 عن تطوير استراتيجية للتعامل مع الصيد غير المشروع وأعلنت أيضا توفير تغطية اجتماعية لجميع الصيادين قبل سنة 2017. ولكن إلى حدود هذه اللحظة شيئا من ذلك لم يحدث وظلت القوانين أحد دلالات إعادة إنتاج التفقير البنيوي لبحارة الصيد الساحلي.

146 مقابلة مباشرة مع ش، ب، سبق ذكره.

147 قانون عدد 32 لسنة 2002 مؤرخ في 12 مارس 2002 بتعلق بنظام الضمان الاجتماعي لبعض الأصناف من العملة في القطاعين الفلاحي وغير الفلاحي.

148 مقابلة مباشرة مع ع، س، سبق ذكره.

149 مقابلة مباشرة مع ش، ب، سبق ذكره.

2.المساعدة الإنسانية والمقاربة القانونية الأمنية

«الإنقاذ ليست مسألة قانونية بل هي نقطة إنسانية، هناك جملة دائما ما أكررها: لا يمكن لأي إنسان أن يشعر بمعاناة أناس في قوارب منكوبة أو غارقين باستثناء البحار، فهذا الأخير وحده من يمكن أن يشاطر ويشارك إحساسهم، لأنه شعور لا يمكنك أن تتمناه حتى لأعدائك، والبحّار يعرف معنى قارب منكوب ومُعطل، ويُدرك جيّدا ما معنى الغرق، فالبحار حينما يرى إنسان يستحق المساعدة في البحر لن يفكر لا في القانون أو في الدين ولا في العرق أو أي شيء، فهو يرى في مشهدية فيها إنسان يصارع الموت، فلا يوجد ما أتعس من الموت، وبالتالي يحاول البحار إنقاذهم بأي طريقة».[150]

أثناء خروجهم للصيد، وفي العديد من الأحيان وخاصة بعد سنة 2011 يرتطم بحّارة جرجيس بمهاجرين غير نظامين عالقين في قوارب هشّة ومنكوبة، كما يجدون أحيانا جُثثًا عائمة. وفي هذه المشهدية يقدّم بحارة الصيد الساحلي يد المساعدة ويحاولون إيصال العالقين إلى اليابسة. وتكون عمليات الإنقاذ على حساب ساعات العمل والمال الضائع. ومن أجل أن يكونوا أكثر فعاليّة في أعمالهم وإنقاذ أكبر عدد ممكن من المهاجرين تابع أكثر من 100 بحّار من جرجيس دورة تدريبية لمدّة 6 أيام في الإنقاذ البحري نظمتها منظمة أطباء بلا حدود سنة 2015. فبينما جرّمت السياسات الأوروبية المنظمات غير الحكومية التي تقوم بعمليات البحث والإنقاذ في البحر المتوسط، فإنّ الصيادين التونسيين يجدون أنفسهم في الخطوط الأمامية لعمليات الإنقاذ. فحتى عند خروجهم للبحر فهم يزودون من الماء والطعام حسبانا لقارب غارق يعترض طريقهم.[151] ومن خلال البيانات الكمية يتبين أن غالبية بحارة الصيد الساحلي بجرجيس يلتزمون بواجب الفعل الإنساني ويقدمون النجدة ويد المساعدة للمهاجرين العالقين في البحر، حيث يؤكد 93 % من المستجوبين أنهم قدموا مساعدات من أجل إنقاذ مهاجرين غير نظاميين عالقين في البحر. ولكن بعد عمليات الإنقاذ يرتطم الصيادون بإجراءات عقابية، حيث تجرم السياسات الأوروبية والوطنية عمليات المساعدة الإنسانية.

150 مقابلة مباشرة مع م، ع، سبق ذكره.

151 Sophie- Anne Bisiaux, Marco Jonville, Op.cit.

رسم بياني عدد 14: بعد الإنقاذ: تطور المضايقات ومصدرها وأشكالها حسب العينة المستجوبة

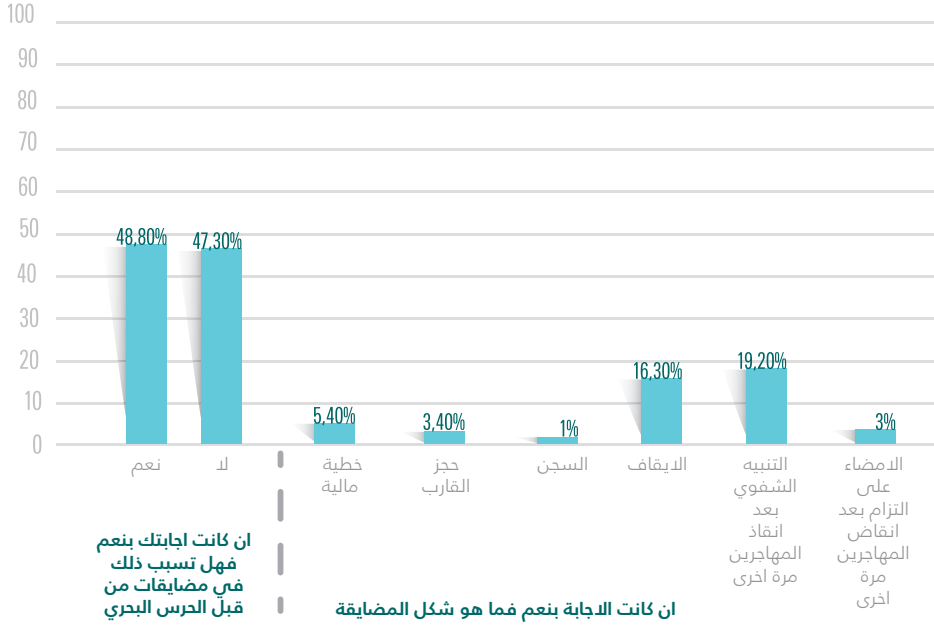

المصدر العمل الميداني.

يُمكن للسلطات التونسية أن تجرم عمليات الإنقاذ وفقا للقانون عدد 6 لسنة 2004 والمؤرخ في 3 فيفري 2004 والمتعلق بجوازات ووثائق السفر الذي يُجرم عمليات الإنقاذ، فقد جاء في الفصل 38 من هذا القانون: «**يُعاقب بالسجن مدّة ثلاثة أعوام وبخطيّة مالية قدرها ثمانية آلاف دينار كل من أرشد أو دبّر أو سهّل أو ساعد أو توسط أو نظّم بأي وسيلة كانت، ولو دون مقابل، دخول شخص إلى التراب التونسي أو مغادرته خلسة سواء تمّ ذلك برا أو بحرا أو جوّا من نقاط العبور أو من غيرها**».

يعاني البحارة من قهر الظروف الاقتصادية والاجتماعية والبيئية والتغيرات المناخية ومحاصرتهم في الصحراء البحرية ومع هذا يقدمون المساعدات الإنسانية، ولكن القانون يسلط العقاب على فقراء الصيد، وهكذا تغيب الدولة في البرامج التنموية العادلة وتحضر أثناء الممارسة القمعية. فمن خلال الإيقافات والمُحاكمات والمضايقات بعد عمليات الإنقاذ، يشعر الصيادون بحضور الدولة من خلال ممارسات الاضطهاد. فالدولة في جوهرها مؤسسة عنيفة لكنّها غير مرئية عند معظم الناس في الحياة اليومية. وقد نتحدّث عنها بشكل مجرّد، ولكن حينما نواجه المضايقات الأمنية ونرتطم بلاعدالة الدولة فإننا نتعرّف عليها بطريقة مختلفة وذلك من خلال «**الشعور بها في جلدنا وجسدنا**.»[152]

152 Maple Razsa, Bastards of Utopia: Living radical politics after socialism, Indiana University Press, 2015. P 138.

VI.عدم المساواة الاجتماعية والحركات الاحتجاجية

«**مازلنا سنناضل، اجتمعنا تقريبا مع كل هياكل الدولة ولكن لا يوجد تقدم، فالدولة لم تترك لنا مجالا آخر غير الاحتجاج.**» بهذه المقولة وضّح ش. ب.[153] سبب احتجاج بحارة الصيد الساحلي بجرجيس، فقد ساهم غياب الدولة وعجزها في تشكل حركات احتجاجية عديدة وبرهانات متنوعة سواء كانت بيئية أو اجتماعية واقتصادية أو مطالبة بإيجاد حل لانعدام الأمن في البحر.

رسم بياني عدد 15: تطور الحركات الاحتجاجية حسب العينة المستجوبة

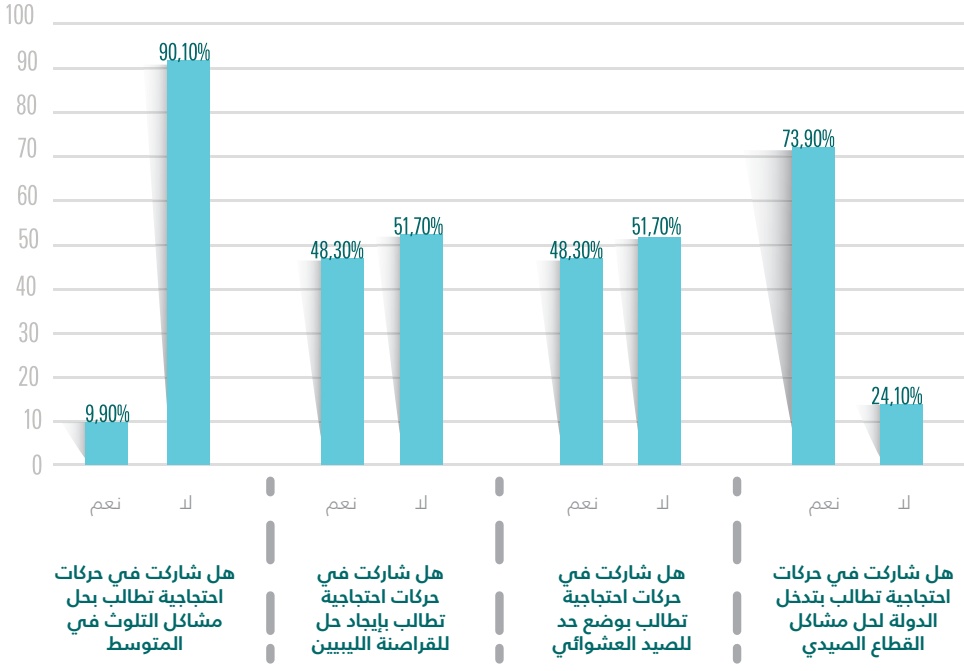

المصدر: العمل الميداني

تعكس هذه الحركات الاحتجاجية درجة عدم الرضا لدى المواطنين الذين يشعرون بالظلم ولا يقبلون أن يتواصل التفاوت الجهوي والحيف الاجتماعي في مناخ عجزت فيه الحكومات المتعاقبة على وضع وتنفيذ سياسات تتصدى لعدم المساواة.[154] فقد تغذى المجتمع

153 مقابلة مباشرة مع ش، ب، سبق ذكره.

154 Azzam Mahjoub, Les inégalités en Tunisie, Forum Tunisien pour les Droits Economiques et Sociaux, Tunis, 2022. P 67.

الصيدي بجرجيس بمشاعر «الحقرة»، ويُشكّل هذا الأخير في منظومة الفعل الاحتجاجي «النقيض الأمثل لمفهوم الكرامة والاحترام والمساواة»، ويُشير في المقابل إلى مفاهيم أخرى مثل الزبونية والاستبداد والفساد والرشوة والمحسوبية.[155]

يلتزم البحارة بالفعل النضالي والاحتجاجي، ومع هذا فإن المبتكرين الأوائل للسيادة الغذائية قد أهملوا القطاع الصيدي حين نشأتها: «فإذا **كان المبتكرون والمروجون للسيادة الغذائية والأيكيولوجيا الزراعية قد قدموا حلولا ومقترحات مهمة لتغيير النظام الغذائي، تظل الحقيقة أن هذه الحركات وحين نشأتها قد أهملت دور الصيد الحرفي أو التقليدي. وحاليا انضمت منظمات الصيادين إلى حركة السيادة الغذائية والأيكيولوجيا الزراعية**».[156]

بناء على ما تقدم يمكن أن نستخلص بالقول بأن الصيادين يشعرون بعدم المساواة، وتعمل مفاهيم اللاعدالة كمحرك لتنامي حركات الاحتجاج. وهكذا فإنّ حركات الرفض والنضال هي أحد الأفعال الهادفة إلى تغير اجتماعي تقدمي وتطوري، ففي أي حركة احتجاجية «هناك تعبيرات متعددة للاحتياجات والرغبات. هذه هي لحظات التحرر: عندما يفرغ الجميع ما بجعبته من الإحباطات ويفتح صندوقه السحري من الأحلام.»[157] ولكن ارتطمت أغلب أفعال النضال باليأس والإحباط، فهل يزال مجتمع الصيد الساحلي بجرجيس يعانق الأمل والثقة في مسار 25 جويلية 2021؟

٧.الدولة ومجتمع الصيد الساحلي بجرجيس: الثقة المبتورة

في غياب الدعائم الاقتصادية والاجتماعية من قِبل الدولة، وفي سياق عاشت فيه شبه الجزيرة الجرجيسية على وقع حركة احتجاجية في خريف 2022[158] ولكن تلك الحركة لم تحقق مطالبها والمتمثلة في كشف حقيقة غرق القارب ليلة 21 سبتمبر 2022 وإيجاد المفقودين والمفقودات، هل يزال مجتمع الصيد الساحلي بجرجيس يثق في مسار 25 جويلية 2021؟

155 الحبيب استاتي زين الدين، الفعل الاحتجاجي في المغرب وأطروحة الحرمان النسبي: في الحاجة إلى تنويع المقاربات التفسيرية، عمران للعلوم الاجتماعية ، عدد 22 ، المجلد السادس، خريف 2017، ص 165-186 ص171.

156 Azzam Mahjoub, Mohamed Mondher Beghith, Op.cit. P 103.

157 مانويل كاستلز، «شبكات الغضب والأمل: الحركات الاجتماعية في عصر الأنترنت»، ترجمة: هايدي عبد اللطيف، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2017، ص 308.

158 لمزيد القراءة حول حركة جرجيس يمكن للقارئ العودة إلى: خالد طبابي، جثث عائمة،... مرجع سابق.

رسم بياني عدد 16: فيما مدى ثقة عينة الدراسة بمسار 25 جويلية 2021

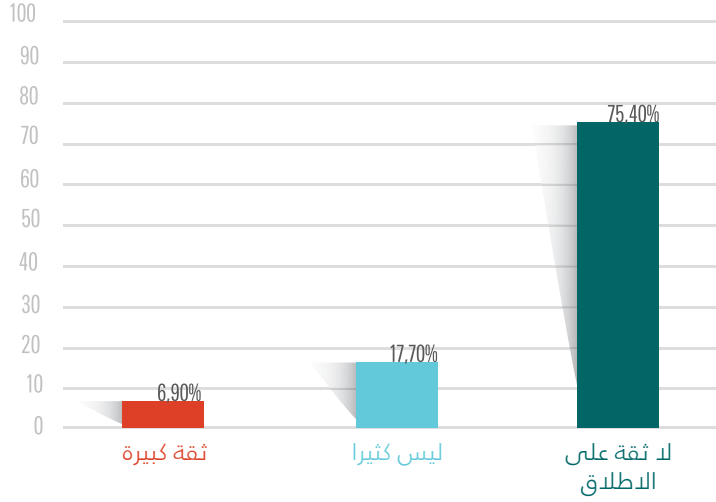

المصدر: العمل الميداني.

يُبيّن الرسم البياني أعلاه العلاقة المبتورة والمكسورة ما بين الحكومة والصيادين، وتجد عدم الثقة هذه تفسيراتها في غياب البرامج الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي لها القدرة على إنتاج تغيرات تقدمية وتطورية. فشعبوية قيس سعيد مثلها مثل أغلب الشعبويات في العالم وخاصة منها اليمينية تتسم بخصائص عديدة منها غياب البرامج الاقتصادية.[159] فالايدولوجيا الشعبوية «لا تقترح في الغالب برامج سياسية دقيقة ورؤية متكاملة خلافا لما يسميه البعض بالأيديولوجيات الكثيفة حيث تستقي فعاليتها من تبسيطها وليس من ثرائها المضموني.»[160] وفي غياب السياسات الرصينة، فاقت البطالة في تونس خلال شهر جويلية 2023 حوالي 20 %، منهم 70 % من حاملي الشهائد العليا. ووصلت العائلات المعوزة ومحدودة الدخل خلال موفي جويلية 2023 إلى حوالي 980 ألف عائلة، أي في حدود مليون عائلة، ويتراوح معدّل العائلات بأربعة أفراد، وبعملية حسابية هناك أربعة ملايين مواطن تونسي وتونسية بين معوزين ومحدودي الدخل.[161] إذن فإنّ غياب السياسات والبرامج والمخططات التنموية الوطنية والسيادية تنجح في كسر الثقة بين الدولة وشعبها.

جدير بالذكر أن الأرقام وحدها لا تكفي بالتفسير، فلهذه القراءة حدودها حيث أن بعض الفاعلين الاجتماعيين في جرجيس لا يزالون يعانقون الأمل في مسار 25 جويلية، حيث يقول

159 Ridha Boukraa, Populisme et crise de la démocratie, Ecrire l'histoire sociale de la sociologie en Tunisie, In Hamdi Ounaina, Med Ali Edition, Sfax, Tunis, 2021, pp 245- 262. P 261.

160 عبد اللطيف الهرماسي، تونس الثورة والمحنة: مقاربة من منظور علم الاجتماع السياسي، سوتيميديا للنشر والتوزيع، تونس، 2023، ص267.

161 كلمة ألقاها وزير الشؤون الاجتماعية مالك الزاهي يوم الاثنين 31 جويلية 2023 وذلك خلال جلسة عامة برلمانية بمجلس النواب بباردو.

م. ع.: «**ما وقع يوم 25 جويلية 2021 كان من المفروض أن يقع من قبل ذلك التاريخ بكثير... أنا لاتزال لديّ الثقة في مسار 25 جويلية**».[162]

من جهته يقول ش. ب.: «**مازالت أحمل أملاً في مسار 25 جويلية، لأنه لا يوجد خيار آخر، صحيح هناك أخطاء وهناك ضعف في الأداء ولكن لا يوجد بديل**».[163]

توضّح الشهادة الأخيرة أنّ الثقة في هذا المسار السياسي لا ترتبط بالإنجازات والبرامج وإنما بالبدائل وبالمنطق العقابي. ففي ظرفية اتسمت فيها العشرية الأولى من الثورة التونسية (2011- 2020) بالخدعة السياسية واللصوصية الاجتماعية وبالتالي انكسار الثقة بين المؤسسات الحزبية والمجتمع. يصبح «الزعيم الشعبوي» الذي ينفر من التنظيمات الرسمية هو البديل الذي سيعاقب الاوليغارشية المالية والنخبة السياسية الفاسدة ويضع نفسه في مكانة المقدس الذي سيحارب المدنس. لذلك فإن الرئيس الشعبوي قيس سعيد يتبع «استراتيجية تلاعب تُخاطب العواطف بدلا من العقول وتقدم صورة مخيفة عن الأوضاع واحتمالات تطورها وتكيل الاتهامات لمصدر الأذى والشرور مع الحفاظ على غموض هذا المصدر: فالشعبوي لا يحددخصمه أو أعداءه بوضوح ولا يذكر أسمائهم ويصفهم بنعوت مثل الخيانة مؤكدا على دوره كحام للوطن من المؤامرات.»[164] وبالتالي يصبح الرئيس هو البديل الوحيد في نظر العديد من المواطنين والفاعلين الاجتماعيين.

IV. المناخ، البيئة وانسحاب الدولة كعوامل لعزوف الشباب

في الميناء الصيدي بجرجيس وفوق مركب للصيد الساحلي يقول ش. ب.: «**أتمناك (يُخاطب في الباحث) أن تظل في الميدان وأتمنى أنا أن أظل حيا على هذه الأرض وستأتي بعد سنوات ولن تجد تقريبا أجيالا جديدة في جرجيس تشتغل في الصيد الساحلي**.»[165]

تحيل الشهادة أعلاه على وجود عزوف في اقبال الشباب الجرجيسي للعمل في مهنة الأسلاف، ويفسر ش. ب. سبب العزوف: «**خلال تسعينيات القرن الماضي كان «البحري» بإمكانه أن يؤسس أسرة ويقوم ببناء منزله، وهذا الأمر صار اليوم صعبا، فإن تحصل على مصاريفه اليومية يُعتبر محظوظا، بالنسبة لي، فأنا قد اشتغلت حوالي 32 أو 33 سنة في البحر منذ سن 17 سنة واشتغلت مع أبي وأقاربي وهو عمل وراثي، ومع هذا لم أشجع ابني للعمل في البحر وهو الآن يعيش في فرنسا، لأننا نحن نعيش في واقع مُرٍّ، لذلك من المستحيل أن أشجع ابني على العمل في قطاع الصيد الساحلي**».[166]

162 مقابلة مباشرة مع م، ع، سبق ذكره.

163 مقابلة مباشرة مع ش، ب، سبق ذكره.

164 عبد اللطيف الهرماسي، مرجع سابق، ص 268.

165 مقابلة مباشرة مع ش، ب، سبق ذكره.

166 مقابلة مباشرة مع ش، ب، سبق ذكره.

تحيل هذه الشهادة على أن قطاع الصيد الساحلي يشهد هجرة وهروبا وعزوفا، فهذا القطاع الذي كان جاذبًا في زمن الماضي أصبح اليوم طاردا ولم يعد يستهوي الشباب، يقول م. ع.: «**إنّ معدّل أعمار العاملين في قطاع الصيد الساحلي في جرجيس متقدم جدا فهو ما بين 55 و60 سنة، وفي الصيد الساحلي لن تجد الشباب كثيرا، فالناس هجروا هذا القطاع لأنه لم يعد يلبي الحاجيات الاجتماعية والاقتصادية**».[167]

يُقر أغلب بحارة الصيد الساحلي بجرجيس على أن التغير المناخي وهدر النفايات في المتوسط وعجز الدولة هي أهم الأسباب التي جعلت الشباب يهجر هذا القطاع.

رسم بياني عدد 17: أسباب عزوف الشباب عن العمل في القطاع الصيدي حسب عينة الدراسة

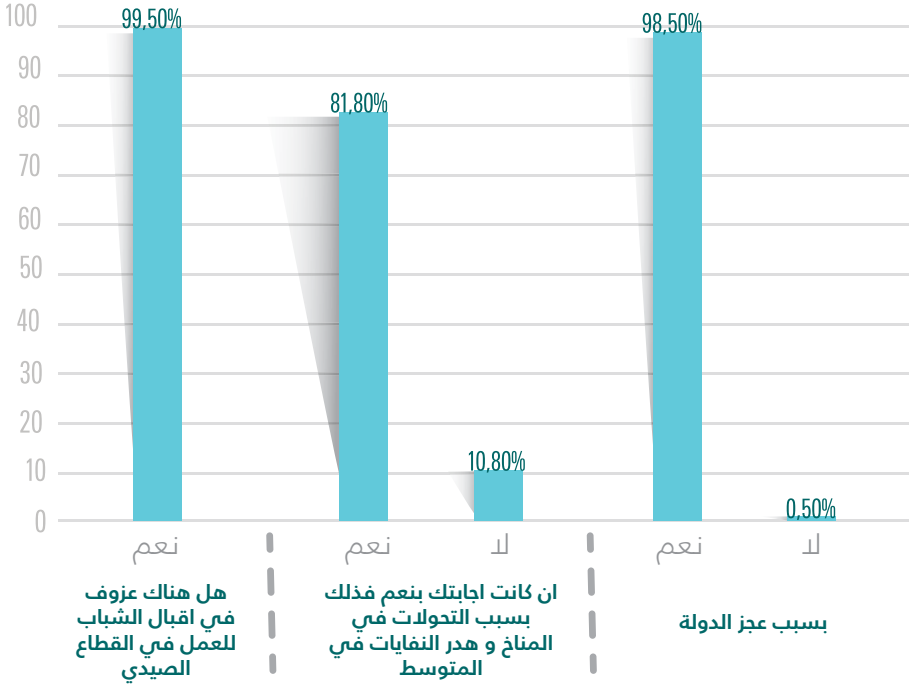

المصدر: العمل الميداني.

أيضا ومن بين أهم المعوقات التي تعرض البحارة أو المرشحين للعمل في القطاع الصيدي هو عدم وجود تأطير ومواكبة التطورات في القطاع الصيدي، حيث هناك فجوة ما بين القطاع وبين التكوين المهني وتطور المعارف، وهذا ما يجعل الشباب عازفا عن العمل في القطاع الصيدي، يُفسر ح. ج. بقوله: «**سجّلنا خلال العشر سنوات الأخيرة (أي من سنة 2013) علاقة وطيدة بين ما يعيشه القطاع الصيدي حاليا وبين منظومة التكوين المهني،**

167 مقابلة مباشرة مع م، ع، سبق ذكره.

قطاع الصيد البحري يتطوّر ويعيش ضمن العصرنة ولكن التكوين المهني لم يواكب هذه التطورات خاصة على مستوى التخصصات التكوينية ولا بد من تجديدها، كما لا زلنا نعتمد طرقا بيداغوجية قديمة لا تواكب عملية التطور... وبرنامجنا البيداغوجي هو موجه للتلاميذ المتربصين ولكن لدينا أيضا شريحة البحارة ولا بد من تطوير معارفهم من حين إلى آخر».[168]

تكشف هذه الشهادة على أن منظومة التكوين المهني ليست لها القدرة على جذب الشباب للتكوين والتعلم في القطاع الصيدي وليست لها القدرة على متابعة البحارة وتأطيرهم من خلال تطوير معارفهم وإدماجهم ضمن التطورات العلمية والتقنية الجديدة ذات الصلة بالقطاع الصيدي.

خاتمة

بعد سنة 2011 تعاقبت عديد الحكومات وعاشت البلاد التونسية على وقع تحولات سياسية وسوسيولوجية عميقة، وقدمت كل الأحزاب تقريبا والنخب السياسية المستقلة عن الأجسام الحزبية برامج ووعودا انتخابية مفادها القطع مع الأزمة الاقتصادية وتحقيق الديمقراطية والمساواة والعدالة الاجتماعية. ولكن لم تنجح الحكومات في مُعالجة قضيّة البطالة أو في مقاومة التفاوتات الجهوية والحيف الاجتماعي، فوفقا للمفكر الاقتصادي التونسي محمود بن رمضان : «يتأثر الشباب والمناطق المُهملة اليوم أكثر بكثير ممّا كانوا عليه قبل سنة 2010، فهم محاصرون في ديناميكية رجعية وفي التخلفّ. فبين الدولة ومناطقها، «اللعبة عبارة عن لعبة ذات مجموع سلبي».[169] »

في إطار الديناميكية الرجعية وعجز الدولة وضعفها وانكماشها ظل المجتمع الصيدي غارقًا في المعاناة، حيث لم يتلق بحارة الصيد الساحلي دعائم مادية أو لوجستية أو تعويضات مالية جراء اللاعدالة البيئية سواء كان ذلك بعد سنة 2011 أو بعد 25 جويلية 2021. ولم يتلق البحارة أيضا دورات تدريبية وعمليات تأطيرية وتوجيهية من قِبل الدولة والتي كان من المفترض أن تمكنهم من مواكبة التقنيات الصيدية الحديثة ومن تطوير معارفهم ومهاراتهم. وفي سياق انسحاب الدولة يعاني الصيادون من عمليات القرصنة والابتزاز، وصارت رحلاتهم الصيدية محفوفة بالمخاطر وتتسم بمشاعر من الخوف بسبب غياب الرقابة وصمت الدولة وعدم تدخلها من أجل توفير الحماية للصيادين. ومن جهة أخرى لم تعمل الدولة التونسية على إعادة النظر في التقسيم غير العادل للحدود بين ومع دول الجوار (الجزائر وليبيا)، وهكذا ظل الصيادون عالقون في صحراء بحرية.

168 مقابلة مباشرة أجريت يوم 10 ماي 2023 على الساعة 15:31 بمدرسة الصيد البحري بجرجيس، مع ح، ج مدير مركز التكوين المهني للصيد البحري بجرجيس.

169 Le jeu est un jeu à somme négative, Mahmoud Ben Romdhane, «Tunisie : La Démocratie en quête d'Etat», Sud Editions, Tunis, 2018. P 151.

رغـم تهميشـهم، إلا أنّ البحـارة يـؤدون واجـب الإنسـانية، ويقفـون في الصفـوف الأماميـة في رحـلات الهجـرة غـير النظاميـة، ويقدمـون مسـاعدات تتمثـل في إنقـاذ الأرواح البشريـة وسـحب القـوارب الهشـة والمنكوبـة إلى اليابسـة. ولكـن بعـد الإنقـاذ يرتطمـون بالتهـم الكيْديـة، حيـث تجـرم السياسـات الوطنيـة والأوروبيـة هـذه الأفعـال الإنسـانية، وبالتـالي فـإن السياسـات الهجريـة الأوروبيـة والوطنيـة ومـن خـلال ترسـانة مـن القوانـين «التمييزيـة والعنصريـة وغـير العادلـة» حولـت الأفعـال الإنسـانية والنبيلـة إلى أفعـال إجراميـة، وفي هـذا الإطـار يتـم احتجـاز مراكـب الصيادِيـن أو معاقبتهـم بدفـع غرامـة ماليـة أو مـن خـلال الايقافـات والأبحـاث العدليـة أو مـن خـلال تنبيهـات شـفوية تؤكـد عـلى عـدم التدخـل وإنقـاذ الأرواح البشريـة بطريقـة تلقائيـة ودون إعـلام الوحـدات الأمنيـة.

الفصل الرابع:

القرار الهجري في مجتمع الصيد الساحلي والحرفي بجرجيس وبوغرارة

مقدمة

يتضح من خلال الفصول السابقة أن للتغيرات المناخية وهدر النظم البيئية آثار سلبية على مجتمع الدراسة. فارتفاع درجات الحرارة وتحمض المحيطات وتلوث البحر الأبيض المتوسط جراء نفايات الشركات الاستخراجية وتدمير قاع البحر بسبب الاصطياد العشوائي عوامل ساهمت في تقلص الثروة البحرية والسمكية. كما أن تصاعد العواصف البحرية يُجبر الصيادين على عدم الإبحار لأيام عديدة وهكذا تتقلص أيام العمل والاصطياد في كل المواسم. ومن جهة أخرى ومن أجل البحث عن الثروة السمكية واصطيادها بطرق تقليدية يبحر الصيادون لمسافات بعيدة، ولكن هذا الإبحار الذي يظل لأيام لا يحقق توازنًا بين التكاليف والأرباح. وهكذا تساهم التغيرات المناخية والبيئية في هشاشة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لبحارة الصيد الساحلي والحرفي.

رغم معاناتهم جراء هدر النفايات في المتوسط وابتزاز القراصنة وغياب القوانين الاجتماعية التي تضمن لهم حقوقهم الأساسية فإننا نرصد انسحاب الدولة التونسية وعجزها عن حل المشاكل الاجتماعية والاقتصادية، مما أدى إلى تصاعد الحركات الاحتجاجية وتقلص الثقة بين الصيادين والدولة.

في إطار تراجع ظروفهم الاقتصادية والاجتماعية جراء التغيرات المناخية واللاعدالة البيئية وانسحاب الدولة التونسية، وفي سياق تنامي مشاعر السخط والاستياء والحرمان، وفي إطار خصوصية محلية تتمثل في تراث هجري تتسم به مدينة جرجيس، هل يمكن للمشاريع الهجرية أن تكون أحد الحلول البديلة لمقاومة التغير المناخي والبيئي وتقاعس السلطات وابتزاز القراصنة وبعض الميليشيات؟

ا.التغيرات المناخية وتطور النوايا والمشاريع الهجرية

بعد طرح بعض التساؤلات المرتبطة بالتغيرات المناخية وتراجع المحاصيل البحرية وتدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لبحارة الصيد الساحلي بجرجيس، والتي أكدت على أن هناك علاقة بين التغير المناخي والتردي الاقتصادي، قمنا بطرح تساؤل جوهري في الدراسة مفاده: في ظل استمرارية هذه التغيرات المناخية وتراجع المحاصيل البحرية وتدهور الوضعية الاقتصادية، هل ستفكر بالهجرة وهل ستشجع أبناءك على الهجرة بصرف النظر إن كانت نظامية أم غير نظامية؟

رسم بياني عدد 18: أثر التحولات المناخية على القرار الهجري حسب العينة المستجوبة

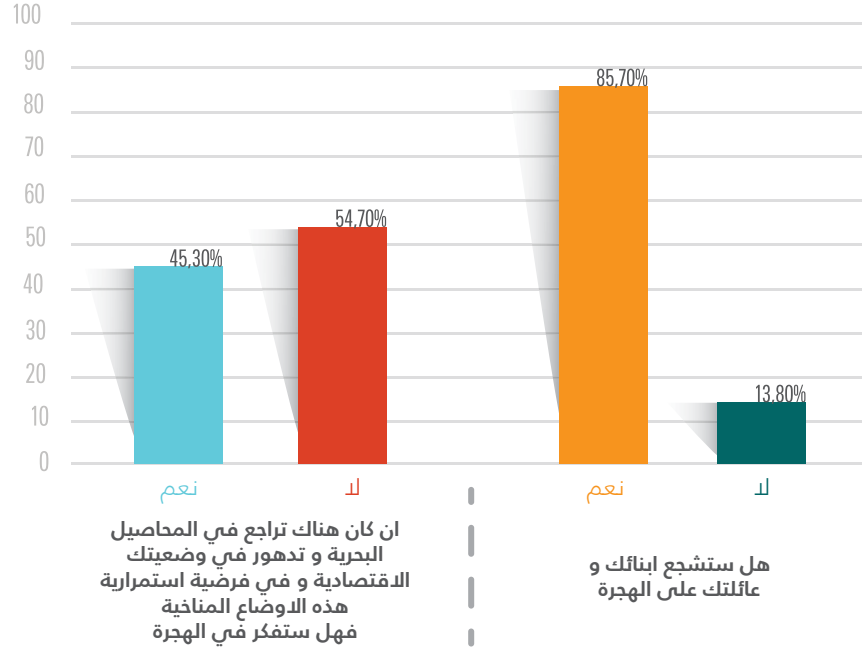

المصدر: العمل الميداني.

على اعتبار أن الصيد الساحلي قطاع غير شاب فإن البعض من البحارة وأثناء ملء الاستمارات أو من خلال شبكة الملاحظات يكررون عبارات مفادها: «**أنا لم يتبق لي الكثير من العمر واشتغلت كثيرا في قطاع الصيد الساحلي، وبالتالي لا أفكر في الهجرة، ولكن أشجع أبنائي أو عائلتي على الهجرة إلى أوروبا، ولا أشجعهم على العمل في قطاع الصيد الساحلي**». ومن جهة أخرى، يتضح من خلال البيانات الكمية أعلاه أن هناك علاقة إحصائية سببية بين التغيرات المناخية وتشجيع العائلة والأبناء على قرار الهجرة، وهذا بحسب اختبار كاي المربع Test khi-deux.[170]

170 أنظر المحلق عدد 2 ص 89.

من جهة أخرى فإنّ العمل في ورشات صنع الدرينة لا تلبي الحاجيات الاقتصادية والاجتماعية وتمثلات وأحلام الشباب. ففي سياق المشقات والأتعاب وانسحاب الدولة في عملية دعم قدرات النساء الفلاحات والشباب، وعجزها في ابتكار مشاريع تنموية تنهض بالقطاع الفلاحي والصيدي، فإن شقيق م. ش.[171] والذي كان يشتغل معها ويحمل معها أعباء العمل في ورشة الدرينة بمنطقة بوغرارة، لم يعد يتحمل البقاء في تونس على وجه العموم وفي بوغرارة على وجه الخصوص نظرا لما تعانيه المنطقة من خصاصة وافتقارها لعديد المقومات الحياتية السوسيولوجية ونظرا لعجز الدولة في إبتكار مشاريع تطورية لها القدرة على الحفاظ على طاقتها الشبابية، وهكذا قرر شقيق م. ش. هجرة موطن النشأة في سنة 2022 وخوض غمار المتوسط وبطريقة غير نظامية إلى أن وضعه القارب في الضفة الشمالية من البحر الأبيض المتوسط. لذلك فحتى المشاريع المبتكرة للتكيف مع الأنواع الغازية والتغيرات المناخية ليست لها القدرة على الحد من التفكير في المشاريع الهجرية سواء كانت بأشكال نظامية أو غير نظامية.

إنّ تطور الهجرة المناخية ليست حصرا على شبه الجزيرة الجرجيسية ومنطقة بوغرارة و على بحارة الصيد الساحلي والتقليدي، وإنما هو مسار عالمي وكوني مرتبط بالتغيرات المناخية وتأثيراتها على الفئات المستضعفة بشكل خاص. فبسبب «تضاعف الأيام شديدة الحرّ المسجلة في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا منذ عام 1970، وقد يتضاعف خمسة مرات قبل نهاية هذا القرن، يتوقع الأستاذ في معهد قبرص خوسيه ليليفلد وزملاؤه ازدياداً هائلاً في عدد اللاجئين المناخيين في المستقبل.»[172] وهكذا وعلى عدّة عقود استمرت الهجرة القسرية للمناخ في النمو. وقد يصل عدد المهاجرين الدوليين، الذي كان حوالي 25 مليونا عام 2007، إلى 200 مليون بحلول سنة 2050.[173]

II.الصيد العشوائي والقرار الهجري

يُمكن لزائر الميناء الصيدي بجرجيس ومن خلال بعض الحوارات العفوية مع بحارة الصيد الساحلي حول موضوع الصيد غير القانوني أن يلاحظ سخط واستياء فقراء الصيد تجاه ما يقع من تدمير لقاع البحر، وهذا ما يدفع بعديد البحارة إلى دق ناقوس الخطر حيث أنهم يطالبون بتدخل الدولة المنسحبة والعاجزة وإلا فإن العديد من البحارة سيضطرون إلى بيع قواربهم وبالتالي العزوف عن العمل في قطاع الصيد الساحلي، يقول س. خ.: «**يجب على الدولة أن تقف ضد الصيادة بالكيس والجر وبالبلاستيك، فلئن أستمر هذا الوضع فسيضطر البحار إلى بيع قاربه وليس بالضرورة أن يهاجر، لأن أغلبهم كبار في السن.**» [174]

171 مقابلة مباشرة، مع م. ش. سبق ذكره.

172 حمزة حموشين، مرجع سابق، ص 103.

173 Taoufik Gammoudi, Contribution à l'étude d'impact de changement climatique sur la migration de la population rurale du Sud-Est Tunisien, Revue des économies Nord Africaines, n014, 2016, pp 21- 34. P 22.

174 مقابلة مباشرة مع س، خ، سبق ذكره.

يشكل الصيد العشوائي أحد العوامل التي تغذي العزوف عن تعاطي النشاط الصيدي الساحلي، وأصبح هذا النوع من الصيد أحد محركات قرار الهجرة الفردية أو من خلال الدفع بالعائلة والأبناء نحو مغادرة موطن النشأة وتحفيزهم على العيش في موطن الاستقبال. حيث يؤكد 45.50 % من العينة المستجوبة أنه في فرضية استمرارية الاصطياد بالكيس وبالجر وبطرق عشوائية فإنهم سيفكرون في الهجرة ولكن ترتفع هذه النسبة حينما يتعلق الأمر بالعائلة والأبناء، حيث يؤكد 84.80 % منهم أنهم سيشجعون عائلاتهم على الهجرة.

III.من مبدأ الملوث يدفع إلى مبدأ المستهلك يدفع والقرار الهجري

حدد المبدأ 16 من إعلان الريو سنة 1992 مفهوم «**مبدأ الملوّث يدفع**» كما يلي:

«ينبغي أن تسعى السلطات الوطنية إلى تشجيع الوفاء بالتكاليف البيئيّة داخليا، واستخدام الأدوات الاقتصادية، آخذة في الحسبان المنهج القاضي بأن يكون المسؤول عن التلوّث هو الذي يتحمّل من حيث المبدأ تكلفة التلوّث، مع إيلاء المراعاة على النحو الواجب للصالح العام، دون الإخلال بالتجارة والاستثمار الدوليين .[175]»

من خلال معالجة البيانات الكمية والكيفية، ومن خلال ما يرصده المرء في شبه جزيرة جرجيس، ووفقا للتحليلات سالفة الذكر والمتعلقة باللاعدالة البيئية، يتضّح أن الدولة التونسية لم تلتزم بهذا المبدأ وصار البحر أحد ملذات رأس المال لكب النفايات، ليكون فقراء الصيد هم ضحايا سياسات اللاعدالة البيئية، وهكذا تحوّل المبدأ أعلاه من «**مبدأ الملوث يدفع**» إلى «**مبدأ المستهلك يدفع**».[176] وفي هذا السياق، وفي فرضية استمرارية التوزان البيئي المكسور وتراجع الثروة البحرية وتردي الظروف السوسيو- اقتصادية جراء المؤسسات والصناعات الاستخراجية والملوثة (المجمع الكيميائي والكوتيزال) سيفكر 45.30 % من المستجوبين في الهجرة، ولكن يختلف قرار الهجرة حينما يتعلق الأمر بالدفع بالأسر، حيث يؤكد 78.80 % أنه في فرضية استمرارية اللاعدالة البيئية فإنهم سيدفعون بعائلاتهم وأبنائهم نحو مغادرة موطن النشأة. وهكذا يمكن التأكيد على وجود علاقة سببية إحصائية مباشرة بين اللاعدالة البيئية وبين قرار الهجرة لعائلات وأبناء البحارة وهذا ما بينته نتائج اختبار مربع كاي.[177] فالهجرة كاستراتيجية أساسية للأسر، تعتبر

175 حسين الرحيلي، ورقة سياسات حول مبدأ العهدة على الملوث، جمعية نوماد 08 بالشراكة مع جمعية مواطني بيئتي، جمعية نخلة وسوليدار تونس في إطار ائتلاف «من أجل حوكمة عادلة ومواطنيه للمواد الطبيعية»، وذلك بالتعاون مع مشروع الديمقراطية في الشرق الأوسط، POMED، مارس 2021 ، ص4.

176 لمزيد القراءة يمكن للقارئ العودة إلى: حسين الرحيلي، «ورقة سياسات حول مبدأ العهدة على الملوث»، مرجع سابق.

177 أنظر المحلق عدد 3 ص 89.

مدرجة في الذاكرة الجماعية للعائلات والمجتمعات باعتبارها تكيّفا مع الظروف البيئية أو كردّ فعل تجاه التغيرات السريعة في هذه الظروف. ويزداد الأمر سوءا حينما تكون البيئة قاحلة بشكل أساسي.[178]

لمزيد دعم الاستنتاجات السوسيولوجية، وحتى لا نقع في الاسقاطات والتبسيطية، وعلى سبيل المقارنة، يُلاحظ بعض الباحثين أنّ التدهور البيئي مثل التلوّث البحري في حالة جزيرة قرقنة والاحترار العالمي يؤثران على النظم البيئية المختلفة مع تأثيرات على الأنشطة التقليدية مثل صيد الأسماك والزراعة، وفي نهاية المطاف هجرة العديد من السكان.[179] فاللاعدالة البيئية التي أدت إلى تراجع المحاصيل البحرية وتدهور الوضعية الاقتصادية لبحارة الصيد الساحلي بجرجيس تعمل كمحفز لتشكل القرار الهجري، وتشكل أيضا أحد العوامل التي تجعل من العائلة طاردة لأبنائها.

تلعب اللاعدالة البيئية أيضا دورا مهما في تشجيع النساء على اتخاذ قرار الهجرة غير النظامية. فقد أدّى تراكم التلوث والعوامل البيئية والمناخية واللاعدالة الاجتماعية وسياسات المحاباة والمحسوبية إلى خنق جميع أشكال الحياة في المياه القريبة من جربة وجرجيس وخاصّة في خليج بوغرارة شبه المغلق. وفي هذا السياق تحلم النساء أيضا بخوض مغامرة المتوسط والوصول إلى ضفته الشمالية، تقول ع. ك.: «**أنا لو أتحصل على تكاليف الرحلة الهجرية غير النظامية سأهاجر، أنا لا أخاف من البحر بإمكاني أن أتحداه باعتبار أنني أنتمي إلى عائلة بحرية... ولكن في الوقت الحالي أنا أشجع أخي على الهجرة**».[180]

على الرغم من صعوبة التمييز بين المغادرة الطوعية والقسرية، إلاّ أنّ الهجرة البشرية تتزايد في سياق التدهور البيئي والتحولات المحتملة والمرتبطة بتغيّر المناخ.[181] فمن الضروري الاعتراف بأن الأسباب الجذرية للهجرة تتجاوز العوامل الاقتصادية والاجتماعية، فالتغيّر المناخي والتدهور البيئي من العوامل الرئيسية التي تُجبر المواطنين على الهجرة.[182] وهكذا يمكننا طرح فرضية مفادها أنّ العالم سيعيش خلال العقود المقبلة على وقع هجرات بيئية، وهذا ما يؤكده عالم الاجتماع الأمريكي **روبرت دويل بولارد** والمُلقب ب

178 Abdelala Bounouh, Sonia Gsir, Op.cit. P 31.

179 Ibid. P 30-31.

180 مقابلة مباشرة مع ع، ك، سبق ذكره.

181 Taoufik Gammoudi, Op.cit. P 22.

182 Barbara Bendandi, Migration due au changement climatique et à la dégradation de l'environnement sur la route de la Méditerranée centrale, Migration en Afrique de l'Ouest et du Nord et à travers la Méditerranée : tendance migratoire, risques, développement et gouvernance, OIM, Genève, 2021, pp 338- 350. P 344.

«**أبـو العدالـة البيئيـة**»[183] بقولـه: «إنّ عـدد اللاجئـين البيئيـين سـيصل عـلى الأرجـح إلى قرابـة 150 مليـون فـرد في عـام 2050». وفي نظـره يبـدو أن تغـير المنـاخ هـو الموضـوع الرئيسي للعدالـة البيئيـة العالميـة في القـرن الحـادي والعشريـن.[184]

VI.الدولة كمحرك للقرار الهجري

1.غياب الدعائم واستمرارية الابتزاز والقرار الهجري

إن غيـاب الاسـتثمار في قطـاع الصيـد السـاحلي والترفيهـي، وعـدم وضـع هـذا القطـاع ضمـن أولويـات جـدول أعـمال الدولـة وانسـحابها وعـدم تقديـم دعائـم ماديـة ولوجسـتية ومعرفيـة للصيادين سـتكون أحـد العوامـل التـي ستشـجع عـلى القـرار الهجـري. حيـث يؤكـد 43.80 % مـن المسـتجوبين أنّـه في فرضيـة اسـتمرار عـدم دعـم القطـاع الصيـدي السـاحلي مـن قِبـل الدولـة فإنهـم سـيفكرون في الهجـرة، و76.80 % سـيدفعون بأبنائهـم وعائلاتهـم للهجـرة.

مـن جهـة أخـرى يـؤدي صمـت الدولـة في عمليات القتـل وابتـزاز الصيادين مـن قِبل بعـض القراصنة إلى تطـور المشـاريع الهجريـة العائليـة. وهكـذا فـإن فرضيـة اسـتمرارية القتـل والابتزاز وغيـاب الأمن تشـكل أحـد العوامـل المحفـزة للقـرار الهجـري سـواء كان لبحـارة جرجيـس أو لعائلاتهـم وأبنائهـم. ففـي فرضيـة اسـتمرار عمليـات القرصنـة فـإن 47.20 % مـن بحـارة الصيـد السـاحلي بجرجيس ومن العينـة المسـتجوبة سـيفكرون بالهجـرة، و83.20 % سـيحفزون أسرهـم عـلى إتخـاذ قـرار الهجرة.

رغـم تدهـور حالتهـم الاقتصاديـة والاجتماعيـة وانسـحاب الدولـة في تقديـم الدعائـم، إلاّ أنـه جديـر بالذكـر أن متغـير التغطيـة الاجتماعيـة لا يمثـل دافعًـا ومحفـزا هجريـا قويًّـا لبحـارة الصيـد السـاحلي بجرجيـس. فالمسـتجوبين الذيـن لا يتمتعـون بتغطيـة اجتماعيـة يمثلـون 54.12 % مـن المجمـوع الـكلي للمسـتجوبين. ومنهـم97 مسـتجوبًا أي مـا يعـادل 50 % مـن العينـة بالرغـم مـن أنـه ليسـت لديهـم تغطيـة اجتماعيـة إلا انهـم لا يَنْـوُون الهجـرة خـارج البـلاد. لكـن حينـما يتعلـق الأمـر بالأبنـاء والعائلـة نلاحـظ أنّ البحـارة الذيـن ليسـت لديهـم تغطيـة اجتماعيـة (106) هـم الفئـة الأكـثر رغبـة في هجـرة أبنائهـم وعائلاتهم الى الخـارج بنسـبة 83.16 %.

مقابـل ذلـك فـإن متغـير الحالـة المدنيـة والوظيفـة يلعـب أدوارا مهمـة في تشـكل القـرار الهجـري عنـد الصيادين، حيـث يتبـيّن أنّ العـزاب هـم الفئـة الأكـثر رغبـة في الهجـرة بنسـبة 26.53 % (52/196) مـن مجمـوع المسـتجوبين، أمـا الوظيفـة الأكـثر رغبـة في الهجـرة الذاتيـة أو العائليـة فهـي مهنـة البحـري بنسـبة 52.25 %.

183 يُلقب روبرت دويل Bullard Doyle Robert بأبو العدالة البيئية justice environmental of Father باعتباره الباحث الأول في هذه المشكلة البيئية من منظور علم الاجتماع وهو أيضا أحد رواد الحملة ضد العنصرية البيئية وأحد الملتزمين في حركة العدالة البيئية التي ظهرت في الولايات المتحدة خلال ثمانينات القرن الماضي.

184 Philippe Boudes, «Sociological Perspectives on Global Climate Change : Compte rendu de document (National Science Fondation, 2009)», Natures Sciences Sociétés, n0 3, vol 18, 2010, pp 337-340. P 339.

2.دورات تدريبية وانخراط الشباب في المشاريع الهجرية

رغم محدودية الدولة في مجال التكوين المهني المتعلق بالقطاع الصيدي والذي لا يواكب المعارف والتقنيات الجديدة والمعاصرة، عملت جمعية البحار التنموية البيئية على تدريب فئات شابة من أجل حثهم على العمل في القطاع الصيدي إلا أن ذلك لم يمنع الشباب الجرجيسي من اختيار قرار الهجرة، حيث يقول س. خ.: «**قامت جمعية البحار التنموية البيئية بجرجيس بعد سنة *2011* بتدريب *56* شابا من جرجيس حول كيفية الغوص وقدمت لهم شهائد في الغوص، ودامت هذه الدورة أربعة أشهر ونصف ويتحصلون على منحة رمزية كل شهر طيلة فترة التكوين، وأقيمت هذه الدورة التدريبية في معهد الصيد بجرجيس ولكن اليوم بقي منهم تقريبا حوالي *10* شبان فقط، فقد قرر البقية أن يسلكوا طريق الهجرة سواء كانت بأشكال نظامية أو غير نظامية.**»[185]

بالفكرة نفسها يضيف م. ع.: «**نحن في جمعية البحار التنموية البيئية وفي عام *2015* قمنا بتكوين *50* شخصا من جرجيس في الميكانيك، واليوم ليس لدينا أي شخص، فكلهم تقريبا هاجروا بطريقة غير نظامية، فقد تحصلوا على شهائد آنذاك واشتغلوا في البحر ولكن لم يجدوا في البحر أرباحا تلبي لهم حاجياتهم الاجتماعية والاقتصادية، فالبحر لا يصنع لهم مستقبلا أفضل ولا يمكن لَوْمُهُم لأنه من حقهم تحسين مستقبلهم.**»[186]

يُؤدي انسحاب الدولة وعجزها إلى انتقال الشباب من العمل الصيدي الوراثي إلى البحث عن فرص أفضل في دول الشمال الصناعي، وهذا ما قد يترك فرضية تصحّر قطاع الصيد الساحلي مستقبلا يقول ش. ب.: « **لطالما لا يوجد استثمارات وتشجيعات وتطمينات والايمان بقدرة الشباب فإن الهجرة لن تقف، فالآفاق مسدودة. ونحن** الآن **تقريبا انتهينا من العمل في البحر، ولا اعتقد أن هناك جيلاً آخرا سيعمل في الصيد، هنا نجد شيخوخة في القطاع، سابقا كنا نعمل مع آبائنا وكنا نحب البحر والصيد، والآن هناك عزوف، الآن في قواربنا وأثناء عملنا أكثر موضوع يتم تداوله هو «الهجرة» لأنها مثلت خيارا آخرا للشباب، رغم كونها تتسم بقصص أليمة.**»[187]

185 مقابلة مباشرة مع س، خ، سبق ذكره.

186 مقابلة مباشرة مع م، ع، سبق ذكره.

187 مقابلة مباشرة مع ش، ب، سبق ذكره.

7.الديون: إما السجون أو بيع القارب لشبكات التهجير

في ظرفية قد يكون فيها البحّار عاجزًا عن تسديد ديونه فإن الهجرة أو بيع القارب لشبكات التهجير قد تكون أحد الحلول الممكنة. فحينما تكون ديون أصحاب القوارب ثقيلة للغاية، يكون لديهم خياران: السجن أو بيع قواربهم من أجل الهجرة غير النظامية. والثاني سيسمح له بإغلاق ديونه، ولكنه سيتخلى عن تقاعده.[188] وحول فرضية بيع القارب لشبكات التهجير أو تنظيم رحلة هجرية غير نظامية يقول م. ع.: **«المعادلة سهلة جدا: «الهجرة»... في الصيد الساحلي هناك غلاء في المعدات، وتقريبا منذ حوالي *15* و*20* سنة مضت على سبيل المثال كان موسم الجمبري أو الاخطبوط يتكلّف على البحار ما بين *30* و*40* ألف دينار تونسي واليوم أصبحت التكلفة في حدود *100* و*120* ألف دينار وزد على ذلك تقلص في الثروة البحرية وغلاء البنزين والمعدات وهذا ما سيجعل من عديد البحارة واقعين في ورطة الديْن مع المزودين، فأقل بحار ستجده غارقا في دين تبلغ قيمته *30* و*40* ألف دينار وحتى أكثر، والمزود قد يصبر على البحار سنة وسنتين وينفذ صبره مع تصاعد قيمة الديون، وزد على ذلك ديون المعيشة اليومية والاجتماعية، وهكذا فإن المعادلة سهلة: هناك بحارة قرروا بيع مراكبهم لشبكات التهجير و آخرون اختاروا القيام بتنظيم الرحلة الهجرية غير النظامية، ولا يفعل البحار هذا من أجل الثراء وإنما فقط من أجل سداد ديونه وبعد ذلك يقوم بشراء قارب آخر صغير».**[189]

قصص بيع قوارب لشبكات التهجير يكاد يعرفها الجميع في جرجيس، حيث يوضح أحد الصيادين: «كل ما عليك فعله هو الذهاب إلى ديوان البحرية التجارية والموانئ لشراء القارب بشكل قانوني، ثم إعادة بيعه إلى شبكات التهجير والإعلان عن سرقته».[190] ويضيف ش. ب.: «**في جرجيس باع العديد من البحارة مراكبهم بالتنسيق مع شبكات التهجير والدولة تتغاضى عن هذا، فهم يأخذون قواربهم إلى جزيرة لامبادوزا**».[191]

لا أحد يتمنى بيع مورد رزقه، لكن الظروف والخوف من عدم تسديد الديون والدخول للسجون تجعل من هذا الأمر فعلا اضطراريا وليس اختياريا، فالمعاناة وغياب الدولة قد تجبر البعض من فقراء الصيد على بيع قواربهم لشبكات التهجير ولكن هذا لا يعني أنّ الصيادين هم اليد الخفية لرحلات الهجرة غير النظامية، فغياب الدولة في سياق يمر فيه البحر المتوسط بتغيرات مناخية وبيئية وصار مرتعًا لبعض القراصنة والسفن الكبرى وعجز صغار الصيادين عن سداد ديونهم هو أمر يجعل من بعض الصيادين ينخرطون في المشاريع الهجرية غير النظامية عن طريق بيع قواربهم لشبكات التهجير أو من خلال تنظيم رحلة هجرية غير نظامية.

188 Zoé Debussy, Raphael Cuneo, Op.cit.

189 مقابلة مباشرة مع م، ع، سبق ذكره.

190 Zoé Debussy, Raphael Cuneo, Op.cit.

191 مقابلة مباشرة مع ش، ب، سبق ذكره.

IV.ثالوث المناخ، البيئة، الدولة وتطور المشاريع والنوايا الهجرية

يُلخص ش. ب. الوضعية المزرية التي يمر بها قطاع الصيد الساحلي من خلال مثلٍ شعبيٍّ محليٍّ: « **البّحّارْ يِشِيحْ سِرْوَالُوا يِشِيحْ جِيبُوا**» ويفسر هذا المثل: «**أي حينما نجد آثارا للمياه على بنطلون البحار فهي دلالة على كسبه للمال وللأرباح باعتبار أنه كان في رحلة صيدية، أما إن وجدت البحار نظيف الملبس والثياب ورائحته تفوح بالعطر فهو لا يمتلك المال**».[192]

يَشعر عديد الصيادين بالظلم والمعاناة والألم، الأمر الذي أدى إلى تنامي مشاعر الخوف والقلق، حيث يؤكد 97.50 % من العينة المستجوبة أنهم يشعرون بالقلق جراء التغيرات المناخية والبيئية وعنف الحدود جراء بعض القراصنة. وفي سياق الخوف فإن البحث عن فضاء آخر تتجسد فيه ملامح الحلم يكون أحد الحلول الممكنة والبديلة. حيث يُقِرّ 52.70 % من أفراد العينة المستجوبة أن الهجرة تمثل أحد الحلول البديلة لمجابهة التغير المناخي واللاعدالة البيئية والتهديد الذي يعيشونه جراء بعض القراصنة، وحول الدول التي يريدون الهجرة إليها فإن أغلبهم يفضلون فرنسا.

رسم بياني عدد 19: الهجرة كأحد الحلول البديلة والبلدان التي تفضلها عينة البحث

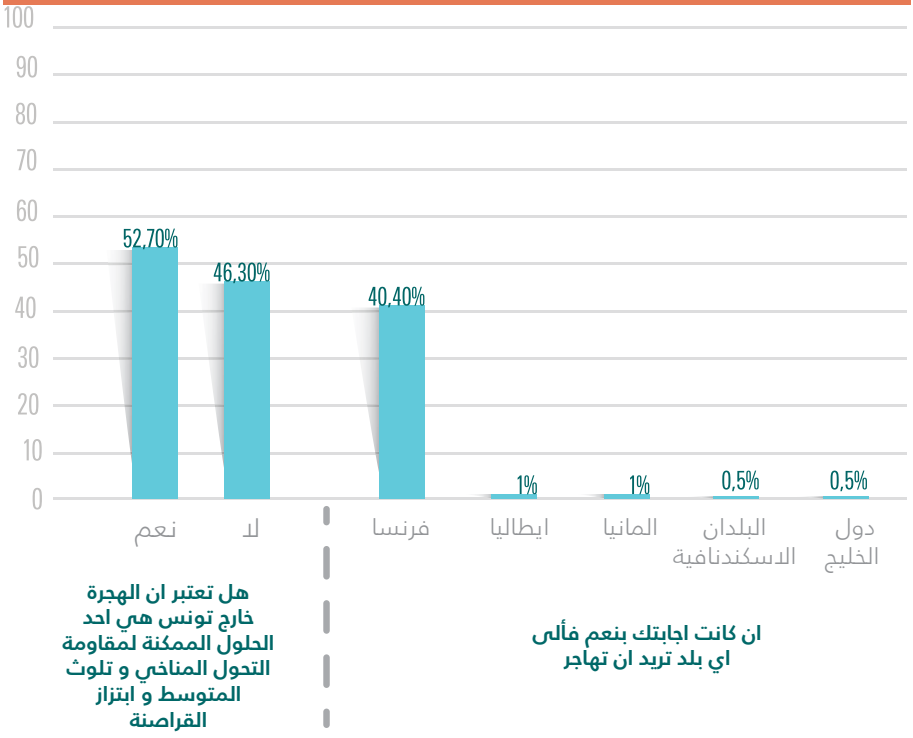

المصدر: العمل الميداني

192 مقابلة مباشرة مع ش، ب، سبق ذكره.

يُفضل بحارة جرجيس الهجرة إلى فرنسا، وبالتالي من الضروري فهم الجغرافيا الخيالية لبلدان المقصد المحتملة وفهم العوامل الكامنة وراء ذلك.[193] فهي تمكننا من فهم المعنى الذي رسمه المهاجرون أو المحتمل هجرتهم عن الفضاء وعن أسباب ودوافع الهجرة.

إنّ تصدّر الدول الأوروبية وخاصّة فرنسا في قائمة البلدان التي يُفضّلها مواطنو وبحارة جرجيس يعود أساسا إلى تشكّل الجاليات هناك في وقت مبكّر وإلى الشبكات التضامنية التي شكلّتها الجالية الجرجيسية في موطن الاستقبال، فالشبكات والحلقات الاجتماعية تلعب دورا مهمّا في اختيار الفضاء. فمنطقة جرجيس «تعتبر من أكثر المناطق التونسية التي هاجر سكانها نحو أوروبا وخاصة فرنسا حيث أنه لا تكاد تخلو عائلة منها من وجود أحد أفرادها في الخارج. فمنذ فترة ما بعد الاستعمار، ونِتاج الهشاشة الاقتصادية، عرفت جرجيس نوعين من الهجرة الداخلية نحو تونس العاصمة والمناطق الساحلية، والخارجية نحو فرنسا وليبيا، ومن أبرز أسباب هذه الهجرات هو البحث عن عمل.»[194] وهكذا فإن الهجرة التاريخية لمواطني جرجيس نحو فرنسا في سياق قوة الحلقات المجتمعية المحلية تلعب دورا مهما في تشكل القرار الهجري وفي اختيار الفضاء. فوفقا لعينة الدراسة فإنّ الصيادين الذين لديهم أقارب بالخارج هم الفئة الأكثر رغبة في الهجرة بنسبة (83.51 %) حيث أن نسبة الذين لديهم أقارب في الخارج تقدر ب 59.04 % (111/188).

من جهة أخرى يشجع بحارة الصيد الساحلي عائلاتهم وأبناءهم على الهجرة باعتبارها أحد الحلول الممكنة لمقاومة التحول المناخي وتلوث المتوسط وابتزاز القراصنة.

193 Etienne Piguet, Les théories des migrations. Synthèse de la prise de décision individuelle, Revue européenne des migrations internationale, vol 29, n0 3, 2013, pp 141, 161. P152.

194 ريم الخويلدي، خصائص الهجرة والمهاجرون في الجنوب الشرقي التونسي: مدينة جرجيس مثال، بحث لنيل شاهدة ماجستير في علم السكان، إشراف: إيمان الكشباطي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، جامعة تونس، السنة الجامعية: 2018-2019، ص 16، 26، 27.

رسم بياني عدد 20: تحفيز العائلة والأبناء على الهجرة حسب العينة المستجوبة

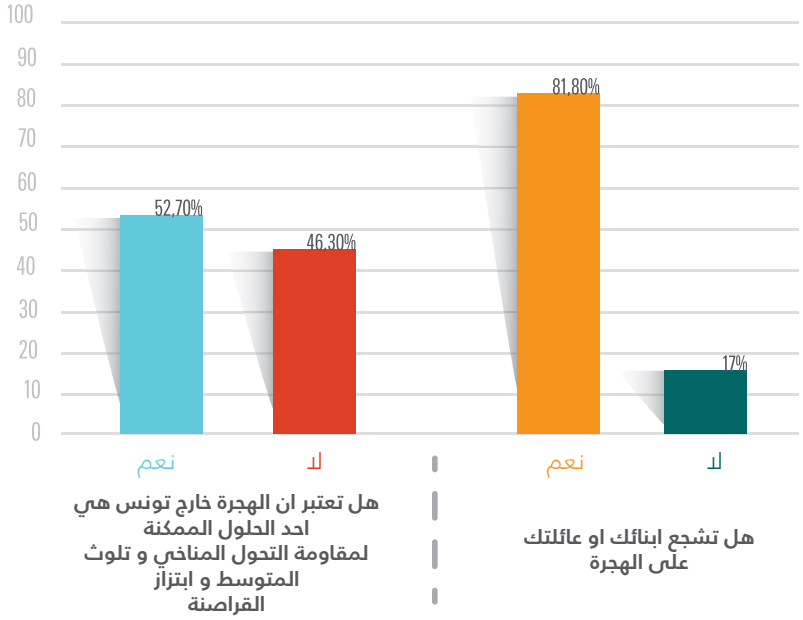

المصدر: العمل الميداني

كغيرها من الأسر التونسية فإن العائلة الجرجيسية تلعب أدوارا مهمة في تشكل قرار الهجرة، فقد بيّنت دراسة أنّ الأسرة في جرجيس هي الداعم الأساسي لقرار الهجرة سواء كان ذلك ماديا أو معنويا، حيث نجد أن 47 % قد لقوا تشجيعات عائلية وينقسمون كالآتي: 20،1 % لقوا تشجيعا من أمهاتهم، 20،4 % من آبائهم و0،07 % من إخوتهم. ثم تليها شبكات الصداقة ب 18.3 %، ثم التشجيع من قِبل شبكات القرابة بنسبة 13.9 %.[195] ومن جهتنا فقد بيّنت الدراسة أيضا أنّ المتزوجين (أي العائلات) الذين يمثلون 62 % من المستجوبين فنسبة رغبتهم في الهجرة لا تتجاوز 18.87 % (37/196). وتختلف هذه النسبة كثيرا عندما يتعلق الامر بأبنائهم وعائلاتهم حيث أنّ المتزوجين يتصدرون المشهد بنسبة 52.28 % (103/197) وذلك لرغبتهم في مستقبلِ أفضل لأبنائهم وعائلاتهم.

رغم الألم في المجتمع المحلي إلاّ أن العائلة لاتزال تؤمن بالقيم التعليمية وتحث بأبنائها على التعلم والمعرفة، فهم يدركون جيّدا أن المدرسة التونسية لم تعد تلعب دور المصعد الاجتماعي ولكن في نظرهم تظل المدرسة أحد أهم المؤسسات التي بإمكانها أن تؤسس لحياة كريمة ولكن ذلك لا يتحقق في الدولة التونسية.

195 ريم الخويلدي، مرجع سابق، ص 102.

رسم بياني عدد 21: أسباب التحفيز على الهجرة حسب عينة الدراسة

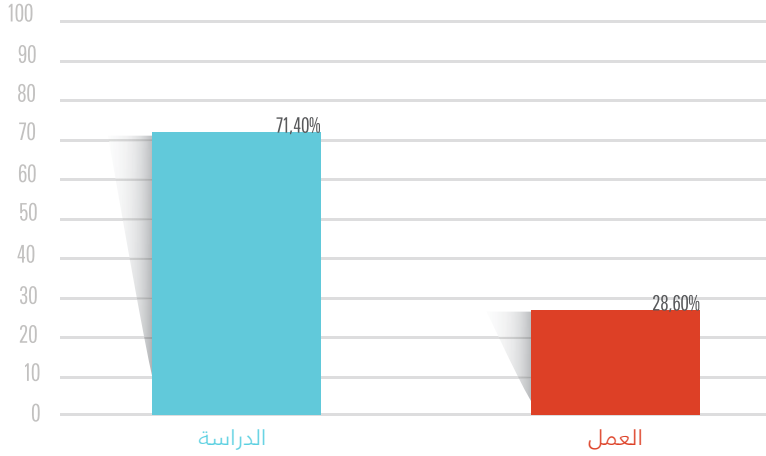

ان كنت تشجع ابنائك او عائلتك على الهجرة فهل ستشجعهم على

المصدر: العمل الميداني

في أغلبها فإن العائلة الجرجيسية تشجع أبناءها على الدراسة، وهذا ما يبين إيمان المجتمع الصيدي بالقيم والممارسات الثقافية والتعليمية. ويتفق في هذه الفكرة كل الصيادين باختلاف مستوياتهم التعليمية. فمن خلال مؤشر المستوى التعليمي نلاحظ ان الفئات التي ترغب في الهجرة الفردية بشدّة هم الأشخاص الذين لديهم مستوى تعليمي ثانوي أو ابتدائي بنسبة 50.52 %، وأكدت الفئة نفسها أنه و في حال تواصل هذه الظروف المناخية والبيئية القاهرة فإنهم سيشجعون أبناءهم و عائلاتهم على الهجرة و ذلك بنسبة 82.92 % (161/194) في حين نلاحظ غيابا تاما للمستوى الجامعي في العينة المستجوبة و ذلك يعود الى أنّ القطاع الصيدي لا يستهوي أصحاب الشهائد الجامعية.

بحكم الهجرة التاريخية والشبكات التضامنية فإن فرنسا تظل أبرز وأهم دولة يمكن الهجرة إليها والاستقرار أو العمل أو التمدرس فيها. حيث يؤكد 77.10 % من المستجوبين أنهم سيشجعون أبناءهم وأسرهم على الهجرة والدراسة في فرنسا، و10.80 % إلى ألمانيا، و7.80 % إلى كندا و3.60 % إلى إيطاليا.

خاتمة

بسبب التغيرات المناخية وهدر النظم البيئية وتقاعس السلطات تدهورت الظروف الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الصيدي. وفي غياب البدائل لمقاومة التغير المناخي والبيئي أو في صعوبة عملية التكيّف مع المناخ فإن الهجرة تصبح أحد الحلول الممكنة للهروب من واقع غارق في الهشاشة والفقر والحرمان.

باعتبار شيخوخة القطاع الصيدي فإن البحارة لا يرغبون كثيرا في الهجرة، ولكن تتغير هذه الفكرة حينما يتعلق الأمر بالأسر والأبناء، وتصبح العائلة طاردة ومشجعة لأبنائها، حيث يعتبر العديد من الصيادين أنه في استمرار التغيرات المناخية والبيئية وعجز الدولة وانسحابها وابتزاز القراصنة أمر سيعبد الطريق نحو المزيد من تدهور حالتهم الاجتماعية، وتصبح الهجرة إلى فضاء تتجسد فيه ملامح الحلم أحد الحلول البديلة لأسرهم وأبنائهم، فهم لا يحفزون عائلاتهم وأبنائهم على العمل في مهنة الأسلاف، وإنما يشجعونهم على الدراسة والعمل خارج موطن النشأة.

نظرا إلى الهجرة التاريخية والمبكرة نحو فرنسا، وفي إطار بناء مجتمع محلي جرجيسي (عكاري)[196] في موطن الاستقبال في باريس، وفي إطار قوة الشبكات التضامنية المحلية، يرغب الصيادون الذين يريدون الهجرة في السفر نحو فرنسا، ولا يتغير هذا الفضاء حينما يرتبط الأمر بالعائلات، فهم يشجعون أبناءهم على العمل والدراسة في الفضاء الأوروبي وخاصة في فرنسا.

في إطار القوانين المجحفة والتي لا تخدم صغار البحارة وبحارة الصيد الساحلي، وفي ظروف مناخية وبيئية ساهمت في تقلص بعض الثروات السمكية والبحرية الأمر الذي أدى إلى هشاشة بحارة الصيد الساحلي، فإن العديد من البحارة لديهم ديون يصعب سدادها، ليكون هناك خياران إما السجون أو بيع القوارب لشبكات التهجير، وهكذا يمكن القول أنّ سياسات الدولة ونماذجها الاقتصادية والقانونية التي لا تراعي مصالح صغار الصيادين ساهمت في تيسير عمل الشبكات المحلية للتهجير.

لئن كانت العوامل الاقتصادية والاجتماعية والأمنية والسياسات الهجرية التمييزية وارتطام الحركات الاحتجاجية باليأس والإحباط إضافة إلى الحالة النفسية الصعبة التي يمر بها التونسيون بعد سنة 2011 أحد محركات القرار الهجري غير النظامي، ولئن كانت توسع الفجوة بين الواقع والأحلام والتطلعات والتمثلات عند الموظفين والعمّال تسهم في تشكل القرار الهجري، فإن العوامل المناخية والبيئية وعجز الدولة في سياق الموروث الهجري المحلي وقوة الشبكات الاجتماعية المحلية هي أحد محفزات قرار الهجرة. بهذا المعنى فإن البيئة والمناخ عاملان لا يمكن انكارهما في تشكل القرار الهجري وفي ديناميكيات المشهد الهجري في تونس.

196 عكارة: هي القبيلة الكبيرة والتاريخية في جرجيس.

خاتمة الدراسة

بسبب التغير المناخي واللاعدالة البيئية والصيد العشوائي وعدم إمكانية الاصطياد بكل أمان في مناطق الصيد المشتركة التونسية الليبية وعدم ابحار الصيادين في المناطق البحرية الليبية، وبسبب الطبيعة الحرفية لمصائد الأسماك ذات الأنواع النبيلة والمستهدفة، انخفضت مصائد الأسماك في ولاية مدنين. ورغم الوجود القوي للأسماك الزرقاء وخاصة السردين، ويعتبر ميناء جرجيس كميناء درجة أولى للسمك الأزرق في منطقة مدنين، إلا أنّ صيد الأسماك الزرقاء تميزت بتراجع في الإنتاج خلال السنوات الأخيرة (منذ عام 2018 تقريبا) بنسبة (-50 %)، كما تقلصت الأنواع الأخرى مثل الإسفنج بنسبة (-67 %) والصيد البحري بنسبة (-17 %)، كما انخفض أيضا الإنتاج في الاستزراع المائي بنسبة (-49 %) وذلك بعد إغلاق وحدات الاستزراع المائي.[197] لتساهم هذه المعطيات في التفكير بالقرار الهجري لدى بعض بحارة الصيد الساحلي بجرجيس وتصبح أحد العوامل المحفزة لتطور المشاريع الهجرية لعائلات وأبناء البحارة. وهكذا لن تؤثر التغيرات المناخية والبيئية في إنتاج الغذاء أو الثروات الطبيعية فقط، فالظواهر المناخية ولا سيما تلك التي تشهد تطورا سريعا والتي تجعل من التكيف أكثر صعوبة، لن تفشل في أن تؤدي إلى هجرة السكان من مناطق معينة (من منطقة جرجيس أو بوغرارة وغيرها) قد تتأثر سريعا بارتفاع مستوى سطح البحر وشح الأمطار وارتفاع درجات الحرارة وتصاعد العواصف البحرية وتحمض المحيطات، ويمكن أن تؤدي هذه الصدمات أيضا إلى بعض النزاعات الأهلية خاصة في المجتمعات المُعتمدة على الصيد والمُستبعدة من مجال المشاركة السياسية.[198]

في سياق التغير المناخي وتدهور النظم البيئية وتراجع الظروف الاقتصادية والاجتماعية، يعيش المجتمع الصيدي على وقع استجابة بطيئة من قِبل الدولة التونسية، حيث لم توفر هذه الأخيرة الدعائم الكافية والتي بإمكانها معالجة أزمة القطاع الصيدي بتونس، وبذلك يصبح غياب الدولة وانسحابها في سياق متانة الشبكات المحلية عوامل تدفع بالصيادين وعائلاتهم إلى اتخاذ قرار الهجرة.

197 Hervé Bru, Marouane Chikhaoui, Op.cit. P 10.

198 Azzam Mahjoub, Mohamed Mondher Beghith, Op.cit. P 117.

بنـاء عـلى مـا تقـدّم، وربطـا بالتحاليـل سـالفة الذكـر في هـذه الدراسـة فإنّـه يمكننـا دعـم فرضيـات البحـث بالقـول:

إن التغـيرات المناخيـة ونمـوذج التنميـة الملـوث وغـير المنضبـط وتقاعـس السـلطات وفي سـياق أصبحـت فيـه شـواطئ جرجيـس مرتعـا للصيـد العشـوائي وللقراصنـة عوامـل عبّـدت الطريـق نحـو تشـكل القـرار الهجـري وتطـور النوايـا الهجريـة سـواء كان فرديـا أم مـن خـلال دفـع بحـارة الصيـد السـاحلي بجرجيـس بعائلاتهـم وأبنائهـم نحـو مغـادرة موطـن النشـأة، عـلى اعتبـار أن قطـاع الصيـد السـاحلي بجرجيـس والحـرفي ببوغـرارة لم يعـد يلبـي الحاجيـات السوسـيولوجية المعيشـية وذلـك جـراء التغـيرات المناخيـة والايكولوجيـة وارتبـاك وعجـز السـلطة السياسـية في إنشـاء مخططـات سوسـيو- سياسـية واقتصاديـة تطوريـة.

للمجتمـع الجرجيـسي بشـكل خـاص وللمجتمـع المدنينـي (ولايـة مدنـين) بشـكل عـام ثقافـة وتقاليـد هجريـة تاريخيـة، حيـث تشـكلت الجاليـات الجرجيسـية في وقـت مبكـر في دولـة فرنسـا وتحديـدا في عاصمتهـا باريـس، ولعبـت هـذه الثقافـة الهجريـة في سـياق قـوة الحلقـات المجتمعيـة المحليـة وفي ظرفيـة يمـر فيهـا قطـاع الصيـد السـاحلي والحـرفي بأزمـة اقتصاديـة واجتماعيـة وبيئيـة ومناخيـة دورا حاسـما في تشـكل وتطـور المشـاريع والنوايـا الهجريـة.

جديـر بالذكـر أنـه في ظـلّ غيـاب القنـوات النظاميـة للمهاجريـن واسـتهزاء السياسـات الهجريـة الأوروبيـة القاتلـة لـلأرواح البشريـة، يتزايـد الطلـب عـلى العبـور إلى أوروبـا. وبسـبب نقـص المـوارد البديلـة للصيادين فـإنّ العـرض آخـذ في الازديـاد. وهـذا لا يعنـي أنّ الصيادين هـم «اليـد الخفيـة وغـير المرئيـة» في رحلـة الهجـرة غـير النظاميـة، فالقوانـين التـي تكـون فقـط في خدمـة رأس المـال وأصحـاب المراكـب الكـبرى وتُسـهم في تفقـير البحـارة وانحصارهـم في مربـع الديـون، مـما يجعـل قصـة بيـع القـارب لشـبكات التهجـير أحـد الحلـول التـي تمنعهـم مـن الدخـول إلى فضـاء السـجون.

لا تختلـف نتائـج التغـير المناخـي واللاعدالـة البيئيـة وفقـا للتقسـيمات الطبقية والمجالية (شـمال جنـوب) فقـط، وإنمـا حسـب النـوع الاجتماعـي أيضـا. لذلـك فـإن النسـاء هـنّ الفئـة الأكـثر تـضررا بهـذه الظواهـر، ففـي سـياق اللاعدالـة الاجتماعيـة والبيئيـة وضعـف الدولـة وعجزهـا عـلى ابتـكار الحلـول التطوريـة، فـإن النسـاء العامـلات في القطـاع الفلاحـي ببوغـرارة هـن مـن يدفعـن الضريبـة الأكـبر : ضريبـة الفقـر والإحبـاط والحرمـان، بمعنـى آخـر هُـنّ الفئـة الأكـثر ضحايـا جـراء السياسـات الوطنيـة والعالميـة غـير العادلـة، وهكـذا فـإن بعـض النسـاء الفلاحـات يعتـبرن أن الهجـرة هـي النافـذة الأخـيرة لمجابهـة التغـيرات المناخيـة والبيئيـة ولتحقيـق أحـلام انكـسرت في موطـن النشـأة حالمـات بهـا في موطـن الاسـتقبال.

في زمـن تغـير المنـاخ وتدهـور النظـم الأيكولوجيـة وتحويـل البحـر إلى فضـاء ومكـب للنفايـات الوطنيـة والعالميـة، وفي سـياق ترتـع فيـه السـفن الكـبرى في المحيطـات والبحـار دون احـترام

المواسم الصيدية والراحة البيولوجية، وفي مناخ عجزت فيه السلطة السياسية عن حل المشاكل الاجتماعية والوطنية وعن طرح بدائل أو حلول للتكيف مع التغيرات المناخية، فإنه لا يمكن فصل الهجرة عن ثنائية المناخ والبيئة. بهذا المعنى لا يمكن فصل الهجرة بشكليْها النظامي وغير النظامي عن ديناميكيات التغيرات المناخية والأيكولوجية في البلاد التونسية.

في الختام ومن منظور مقاربة السيادة الغذائية يمكن القول أنه على الرغم من قوة ومكان القطاع الصيدي في المجال الاقتصادي التونسي إلا أنه غير قادر على تلبية الطلب المحلي والسماح بتنمية استهلاك التونسيين من الأسماك ومنتجات المأكولات البحرية، والتي لا تزال أقل من المتوسط العالمي. لذلك «يجب وضع قطاع الصيد الساحلي والحرفي في قلب اهتمامات السياسات الزراعية والغذائية، وفقا لمبادئ السيادة الغذائية، مع العلم أن هذا القطاع يُوظف ثلاثة أرباع العاملين في هذا القطاع وينتج ما يزيد قليلا عن ثلث الإنتاج الوطني. وبالتالي يجب أن يتطلب اهتماما خاصا من شأنه أن يعزز مشاركته في الإنتاج الوطني ودخل الصيادين مع ضمان حماية اجتماعية وأمان أفضل في البحر وكذلك الحفاظ على موارد مصائد الأسماك فيما يتعلق بالبيئة ومتطلبات الاستدامة».[199] وباعتبار أنّ القطاع الصيدي هو قطاع فلاحي بالأساس، وأن الأسماك هي أحد المنتجات التي يستهلكها التونسيون، فإنّ السيادة الغذائية «تقدم طريقا مزارعيا مكتملا نحو المراقبة الاجتماعية واتخاذ القرار في المسائل المرتبطة بالتغذية، وتطرح السيادة الغذائية أيضا مسألة العلاقة بين المدينة والريف وأهمية المحافظة على تزويد المناطق الحضرية بالغذاء بأسعار مقبولة مستدامة، وتقدم أيضا برنامجا يدعم مشروع السيادة الوطنية.»[200] وهكذا فإنّ وضع القطاع الصيدي ضمن أولويات السياسات الغذائية ومن منظور السيادة الغذائية هو مشروع اقتصادي واجتماعي وسياسي يعبّد الطريق نحو تعزيز قدرة وقوة هذا القطاع من خلال الحفاظ على موارد الأسماك وضمان الحماية الاجتماعية للصيادين وتوفير الغذاء بأسعار مقبولة لكل التونسيين.

199 Azzam Mahjoub, Mohamed Mondher Belghith, Op.cit. P 107.

200 حبيب العايب، في أصول التبعية الغذائية في تونس: نموذج كولونيالي لا يزال قائما، في التبعية الغذائية في البلاد العربية: جذورها وأبعادها تونس والمغرب وفلسطين نموذجا، تنسيق: حبيب العايب، محمد الأزهر الغربي، ماكس آجل، مرصد السيادة الغذائية والبيئية، تونس، 2022، ص 41 -66 ص 62.

الملاحق

الملحق عدد 1

توزيع وحدات الصيد حسب الموانئ بولاية مدنين

	جرجيس	حاسي جلابة	حومة السوق	أغير	أجيم	بوغرارة	القرين	الكتف
صيد ساحلي	998	108	708	205	352	175	107	140
صيد الأسماك الزرقاء	19	0	0	0	0	0	0	0
الصيد بشباك الجر	3	0	0	0	0	0	0	0
صيد التونة	4	0	0	0	0	0	0	0
تربية الاحياء المائية	3	0	0	0	0	0	0	0
المجموع	1027	108	708	205	352	175	107	140

Source : Hervé Bru, Marouane Chikhaoui, Op.cit. P 13.

المحلق عدد 2

العلاقة السببية بين التغيرات المناخية وتحفيز العائلة والابناء على قرار الهجرة

Test Khi-deux de Pearson			
		ان كان هناك تراجع في المحاصيل البحرية وتدهور في وضعيتك الاقتصادية وفي فرضية استمرارية هذه الاوضاع المناخية فهل ستفكر في الهجرة	
هل ستشجع ابنائك وعائلتك على الهجرة	Khi-deux	010,	
	df	1	
	.Sig	019,	

المصدر: العمل الميداني.

المحلق عدد 3

العلاقة السببية بين التلوث البيئي وتطور النوايا والمشاريع الهجرية

Test Khi-deux de Pearson			
		هل ستشجع عائلتك على الهجرة	
هل تعتبر ان سبخة الملح التابعة الى الشركة العامة للملاحة التونسية (الكوتيزال) قد ساهمت في تلوث البحر و تراجع الثروة البحرية	Khi-deux	4,744	
	df	1	
	.Sig	b,*029,	
هل تعتبر أن التصريفات الصادرة عن المجمع الكيميائي بقابس قد ساهمت في تلوث البحر وقلصت من الثروة السمكية	Khi-deux	5,807	
	df	1	
	.Sig	b,*016,	
هل تعتبر أن تصريفات مياه الصرف الصحي في البحر المتوسط ومن قبل الديوان الوطني للتطهير ONAS قد ساهمت في تلوث البحر وتراجع المحاصيل البحرية	Khi-deux	7,228	
	df	1	
	.Sig	b,c,*007,	

المصدر: العمل الميداني.

القائمة البيبليوغرافية

مراجع باللغة العربية

- آمنة بن كحلة، **دراسة حول صغار البحارة ووضعية الصيد الساحلي في جرجيس وقرقنة وطبلبة**، المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية، 2021.

- بكّارغريب، "**مسألة منوال التنمية البديل**"، في حركية المجتمع التونسي في عشرية الثورة بين "إرادة الحياة" و "استجابة القدر" ، تقديم: المولدي قسّومي، تونس، دار محمد علي للنشر، 2020، ص 139- 146.

- التقرير الخامس، **التنمية المستدامة والعمل اللائق والوظائف الخضراء**، مكتب العمل الدولي، جنيف، 2013.

- الحبيب استاتي زين الدين، **الفعل الاحتجاجي في المغرب وأطروحة الحرمان النسبي: في الحاجة إلى تنويع المقاربات التفسيرية**، عمران للعلوم الاجتماعية والإنسانية، عدد 22، المجلّد السادس، خريف 2017.

- حبيب العايب، **في أصول التبعية الغذائية في تونس: نموذج كولونيالي لا يزال قائما**، في التبعية الغذائية في البلاد العربية: جذورها وأبعادها تونس والمغرب وفلسطين نموذجا، تنسيق: حبيب العايب، محمد الأزهر الغربي، ماكس آجل، مرصد السيادة الغذائية والبيئية، تونس، 2022، ص 41- 66.

حسين الرحيلي، **ورقة سياسات حول مبدأ العهدة على الملوّث**، جمعية نوماد 08 بالشراكة مع جمعية مواطني بيئتي، جمعية نخلة وسوليدار تونس في إطار ائتلاف "من أجل حوكمة عادلة ومواطنيه للمواد الطبيعية"، وذلك بالتعاون مع مشروع الديمقراطية في الشرق الأوسط، POMED، مارس 2021.

حمزة حموشين، **أي تنمية نريد؟ العدالة البيئية والاستخراجية والتنمية المستدامة"**، في نحو تنمية عادلة اجتماعيًا في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، تحرير وتقديم: سلام سعيد، ترجمة: ياسر الزيات، مؤسسة فريدريش إيبرت، 2017، ص 102- 117.

خالد طباني، **جثث عائمة وأرواح هائمة عبث الدفن ودولة الاحتقار: مأساة شبه الجزيرة الجرجيسية**، المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية، 2022.

رضا كارم، **البائع المنتصب في سوق نهج إسبانيا بين ذكورة الأنموذج وذكورة الآخر**، في سوق نهج إسبانيا أو منهاج الاقتصاد الشارعي في التونس: مقاربة سوسيو أنثروبولوجيّة، تحرير وتنسيق: سفيان جاب الله، المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية، 2022.

ريم الخويلدي، **خصائص الهجرة والمهاجرون في الجنوب الشرقي التونسي: مدينة جرجيس مثالا**، بحث لنيل شاهدة ماجستير في علم السكان، إشراف: إيمان الكشباطي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، جامعة تونس، السنة الجامعية: 2018- 2019.

سالم الأبيض، **تاريخ شبه جزيرة جرجيس من العصور القديمة إلى نهاية الاحتلال الفرنسي: دراسة اجتماعية تاريخية في التاريخ المحلي**، تقديم: نور الدين سريب، الشركة العامة للطباعة سوجيم، تونس، 2001.

سلمى برنيص، **مكانة المرأة في المهن الذكورية: المجال العسكري مثالا**، رسالة بحث لنيل شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع، إشراف: سهام النجّار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، جامعة تونس، 03 نوفمبر 2020.

عبد الرحمان الوينسي، **أحد ملامح الأنشطة الاقتصادية بجرجيس: تطوّر قطاع الصيد البحري 1887- 1929**، في شبه جزيرة جرجيس عبر التاريخ، جمعية المحافظة على التراث بشبه جزيرة جرجيس، 1995.

عبد اللطيف الهرماسي، **تونس الثورة والمحنة: مقاربة من منظور علم الاجتماع السياسي**، سوتيميديا للنشر والتوزيع، تونس، 2023.

فرناند بروديل، **البحر المتوسط**، ترجمة: عمر بن سالم، أليف، منشورات البحر المتوسط، تونس 1990.

مانويـل كاسـتلز، " **شـبكات الغضـب والأمـل: الحـركات الاجتماعيـة في عـصر الانترنـت**"، ترجمـة: هايـدي عبـد اللطيـف، المركـز العـربي للأبحـاث ودراسـة السياسـات، بـيروت، 2017.

محمـد در، **أهـم مناهـج وعينـات وأدوات البحـث العلمـي**، مجلـة الحكمـة للدراسـات والتربويـة والنفسـية- مؤسسـة كنـوز الحكمـة للنـشر والتوزيـع، الجزائـر، 2017.

محمـد سـميح الباجـي، **الشركـة العامـة للملاحـات التونسـية (كوتيـزال): 5.7 مليـون دينـار قيمـة التهـرب الضريبـي تُكافـئ بامتيـاز اسـتغلال جديـد**"، موقـع نـواة، 14 مـاي 2014.

محمـد سـميح الباجـي، **ملـح جرجيـس: الذهـب الأبيـض المسـلوب**، موقـع نـواة، 05 فيفـري 2015.

المولـدي قسّـومي، **المنظّمـة النقابيـة لأربـاب العمـل التونسـيين: الأطـوار والأدوار**، تقديـم: الهـادي التيميومـي، دار نقـوش عربيـة، تونـس، 2018.

ياسـين النابـلي، **مصنـع السّـياب بصفاقـس: التلـوّث ولعبـة المصالـح**، موقـع نـواة، 23 فيفـري 2016.

في غير اللغة العربية

Abdelala Bounouh, Sonia Gsir, **Migrations et environnements en Tunisie : Relations complexes et défis pour le développement**, Organisation Internationale pour les migrants, Tunis, 2017.

Alain Touraine, **La société de communication et des acteurs**, Editions du Seuil, Paris, 2021.

Ali Bouattour, **Les changements climatiques et leurs impacts sur le secteur de l'élevage au Maghreb**, *Santé et environnement dans le bassin méditerranéen*, Académie Tunisienne des Sciences, des Lettres et des Arts, Beit al-Hikma, Tunis, 2011.

André Desrochers, **Conserver le climat ?** *Penser la conservation de l'environnement*, Les Presses de l'Université Laval, 2022, pp 163-194.

Azzam Mahjoub, **Les inégalités en Tunisie**, Forum Tunisien pour les Droits Economiques et Sociaux, Tunis, 2022.

Azzam Mahjoub, Mohamed Mondher Beghith, **La sécurité et la souveraineté alimentaires et le droit à l'alimentation en Tunisie**, FTDES, 2022.

Barbara Bendandi, **Migration due au changement climatique et à la dégradation de l'environnement sur la route de la Méditerranée centrale**, *Migration en Afrique de l'Ouest et du Nord et à travers la Méditerranée : tendance migratoire, risques, développement et gouvernance*, OIM, Genève, 2021, pp 338- 350.

Céline Deandreis et al, **Impacts des effets du changement climatique sur la sécurité alimentaire**, *Tunisie- Contribution aux éléments de la phase préparatoire du processus du plan national d'adaptation (Axe 2)*, Agence Française de Développement, 2021.

Commission Européenne, **Etude d'impact de la pollution industrielle sur l'économie de la région de Gabés**, 30 Mars 2018.

Etienne Piguet, **Les théories des migrations. Synthèse de la prise de décision individuelle**, *Revue européenne des migrations internationale*, vol 29, n° 3, 2013, pp 141, 161.

Hervé Bru, Marouane Chikhaoui, **Chaine de valeur pêche et aquaculture dans le gouvernorat de Mednine : Cartographie et plan d'action à court et à moyen terme**, UE, programme IRADA, 2020.

Hiroko Norimatsu, Pascal Gazenave- Tapie, **Techniques d'observation en Sciences humaines et sociales**, *Congrès international Société d'Ergonomie de Langue Française*, 2017, Toulouse, France, pp 529- 532.

Hiroko Norimatsu, Pascal Gazenave- Tapie, **Techniques d'observation en Sciences humaines et sociales**, *Congrès international Société d'Ergonomie de Langue Française*, 2017, Toulouse, France, pp 529- 532.

Maple Razsa, **Bastards of Utopia: Living radical politics after socialism**, Indiana University Press, 2015.

Ridha Boukraa**, Populisme et crise de la démocratie**, *Ecrire l'histoire sociale de la sociologie en Tunisie*, In Hamdi Ounaina, Med Ali Edition, Sfax, Tunis, 2021, pp 245- 262.

Rob Nixon, **Slow violence and the environmentalism of the poor**, Harvard University Press, 2011.

Russell Bernard,**Research methods in Anthropology: Qualitative and Quantitative Approaches**, Fourth Edition, Oxford, 2006.

Sophie- Anne Bisiaux, Marco Jonville, **Des pêcheurs pris dans un étau**, *FTDES*, Le 06/12/2019.

Susan Carte, Mark Nuttal, **Anthropology and climate change: From encounters to actions**, Left Coast Press, Inc, California, 2009.

Philippe Boudes,"**Sociological Perspectives on Global Climate Change : Compte rendu de document (National Science Fondation, 2009)**", *Natures Sciences Sociétés*, n° 3, vol 18, 2010, pp 337-340.

Taoufik Gammoudi, **Contribution à l'étude d'impact de changement climatique sur la migration de la population rurale du Sud-Est Tunisien**, *Revue des économies Nord Africaines*, n°14, 2016, pp 21- 34.

Zoé Debussy, Raphael Cuneo, **« Ici, tout est mort » : en Tunisie, les pêcheurs contraints à l'exil**, *Reporterre : Le média de l'écologie*, Le 31 Mars 2023 à 9h34.

تم دعم هذا العمل من قبل مؤسسة روزا لكسمبورغ. يمكن استخدام محتوى المطبوعة أو جزءا منه طالما يتم نسبه للمصدر.

إن محتوى هذه المطبوعة هو مسؤولية الكاتب ولا يعبر بالضرورة عن موقف مؤسسة روزا لكسمبورغ.